

أسلوب السجع

وموقف الباقلاني من السجع في القرآن

دراسة نظرية تحليلية ورؤية نقدية

د. أحمد محمد المعتوق

مقدمة



عندما زادت حدة النزاع بين

المتكلمين في القرن الثالث والرابع الهجريين وكثر

الجدل في المسائل الدينية والعقدية بين المذاهب والطوائف

الإسلامية من جهة، وبين المسلمين وغيرهم من جهة أخرى،

كثر الكلام حول القرآن وبلاغته وأسباب إعجازه، مما دفع الكثيرين

من علماء المسلمين ومتكلميهم وأدبائهم إلى البحث في إعجاز كتابهم

المقدس. فألف بعضهم كتباً خاصة في إعجاز القرآن، كما تطرق

إليه آخرون ضمن بحثهم لمواضيع أخرى.

وقد كان موضوع السجع في القرآن من الموضوعات البارزة التي تطرقوا إليها خلال بحثهم في أسلوب القرآن وبلاغته وأسباب الفصاحة فيه . إلا أن الخلاف في هذا الموضوع كان ظاهراً بينهم ، لا سيما بين الأشاعرة والمعتزلة . فمنهم من آمن بوجود السجع في القرآن وعدّه من أسباب البلاغة وميزات الفصاحة في أسلوبه ، ومنهم من عدّه أسلوباً مذموماً في التعبير يجب أن ينزّه كتاب الله عنه . وكان لمحمد بن الطيب الباقلاني (ت/ ٤٠٤ هـ) شوط بارز في هذا الصراع ، واهتمام خاص بهذا الموضوع بلغت نظر الدارس ويشير اهتمامه .

عقد الباقلاني فضلاً خاصاً في كتابه المشهور «إعجاز القرآن» ذم فيه السجع ونفاه عن القرآن الكريم ، مع أن السجع لون من ألوان البديع كان يعد عند أهل اللغة والأدب في عصر الباقلاني نفسه ميزة من ميزات البلاغة ومظهراً من مظاهر التمكن من أسرارها ، كما أن الظاهر إجماع الناس على وجود هذا اللون من التعبير في القرآن . فهل ما نراه في القرآن مما يبدو سجعاً هو في الحقيقة غير ذلك ؟ ، وإذا كان سجعاً فلماذا ينزه الباقلاني القرآن عنه ، وينفي عن القرآن أسلوباً كان من أبرز الأساليب الثرية في عصره وفنا كان يعد مقياساً للبلاغة أو مظهراً لها في زمانه ؟ أتى السجع ما يستعاب أو يرفض ؟ وهل كان الباقلاني على صواب في نفي السجع عن القرآن ، أم أنه كان على خطأ لشبهة أو عصبية أبعدته عن طريق الحق أم هناك أسباب أخرى ؟

لا طريق لكشف الواقع والإجابة عن كل هذه الأسئلة في الحقيقة إلا بتعرف طبيعة فن السجع ذاته وتبين مدى علاقته ببلاغة التعبير ، وملايساته وارتباطاته والظروف التي أحاطت به وبتطوره في عصر الباقلاني على وجه الخصوص . ثم التعرف على الباقلاني ووجهة نظره في هذا الأسلوب ودراسة أقواله ومقارنتها مع أقوال خصومه ومناقشة وتحليل أدلة كل من

الفريقين في دقة وموضوعية .

وقد تطرق إلى بحث موقف الباقلاني من قضية السجع في القرآن وإلى مناقشة أدلته وأقواله ومناقشات خصومه عددٌ ممن تحدثوا عن الباقلاني وعن كتابه المذكور وأفاض بعضهم في الحديث وفصل فيه^(١) . وليس الهدف هنا زيادة التفصيل أو التوسع في بحث الموضوع ، وإنما هو على العكس من ذلك ، إبراز الموضوع في شكل أكثر تحديدا وتركيزا وبعدا عن الاستطرادات التي قد تؤدي إلى تساؤل الجوانب الفنية والعناصر الأساسية في مناقشة الباقلاني للموضوع . هذا إضافة إلى ربط موقف الباقلاني من السجع في القرآن بالتطورات التي خضع لها أو مر بها أسلوب السجع ذاته ، وما كانت عليه طبيعة هذا الأسلوب وطرق استخدامه في عصر الباقلاني للتعرف على مدى ارتباط ذلك بنظرية الباقلاني أو موقفه ، الأمر الذي أغفلته الدراسات السابقة .

إن السجع فن من فنون التعبير له اعتباراته وله جذوره المتأصلة ، وقد شكّل وجوده في فترة من فترات التاريخ الإسلامي ظاهرة لغوية وبلاغية بارزة ، كانت لها آثارها الكبيرة في التراث الشرعي العربي ، كما أن الباقلاني عالم ومتكلم مشهور لا يستهان برأيه ، ونفيه للسجع عن القرآن أمر له غاية الخطورة ؛ إذ يترتب عليه نفي السجع عن طائفة كبيرة من أحاديث الرسول ﷺ وخطب الخلفاء الراشدين وخطب وأقوال عدد من بلغاء العرب ومتكلميهم ، أو التشكيك في صحة نسبة هذه الأحاديث والخطب إذا ثبت وجود السجع فيها ، أو التقليل من قيمتها وقيمة جزء لا يستهان به من التراث الشرعي العربي المتمثل في مجموعة كبيرة من الرسائل والمقامات ونتائج نثرية أخرى ؛ لانقضاء أو ضالة قيمة الأسجاع الموجودة فيها . ومن هنا تنشأ أهمية البحث في هذا الموضوع .

أسلوب السجع:

تعريفه، أنواعه، شروطه:

السجع كما حده ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) هو «تواطؤ الفواصل في الكلام المنشور على حرف واحد»^(٢)، أو كما حده العلوي «اتفاق الفواصل في الكلام المنشور في الحرف أو في الوزن أو في مجموعهما»^(٣). وهو في الشر كمثل القافية في الشعر، والفرق بينهما أن القافية ملزمة في الشعر القديم لا يستغنى عنها بينما السجع يستغنى عنه وقد يرد في بعض من الكلام ولا يرد في بعض آخر.

والسجع كما يقول أبو هلال العسكري (ت ٣٩٦)^(٤) على وجوه فمنها ما يكون الجزءان فيه «متوازيين متعادلين لا يزيد أحدهما على الآخر مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه... وهو كقول الأعرابي... سنة جردت، وحال جهدت، وأيد جمدت. فرحم الله من رحم. فأقرض من لا يظلم. فهذه الأجزاء متساوية لا زيادة فيها ولا نقصان والفواصل على حرف واحد». ومنها ما تكون فيه الأجزاء أو الجمل متوازية عدا قليل من الاختلاف مثل قول أعرابي يدعو: «أعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الذل إلا لك»، وقول بعض الأعراب: «باكرنا وسمي، ثم خلفه ولي، فالأرض كأنها وشي منشور، عليه لؤلؤ منشور، ثم أتننا غيوم جراد، بمناجل حصاد، فاحترثت البلاد، وأهلك العباد، فسبحان من يهلك القوي الأكل، بالضعيف المأكول». ففي بعض الأجزاء ما زاد عن البعض الآخر: فقوله مثلاً: «فسبحان من يهلك القوي المأكول» فيه زيادة على ما بعده.

ومن أنواعه: «أن تكون ألفاظ الجزئين المزدوجين مسجوعة الكلام سجعا

في سجع وهو مثل قول البصير: حتى عاد تعريضك تصرىحا، وتريضك تصحيحا. فالتعريض والتريض سجع، والتصريح والتصحيح سجع آخر فهو سجع في سجع...».

وقد قسم ابن الأثير السجع إلى أقسام تقارب الأقسام التي ذكرها العسكري، كما قسمه بكل أنواعه المذكورة إلى ضربين رئيسين هما: (٥)

١ - السجع القصير: «وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة... وأحسنه ما كان مؤلفا من لفظتين لفظتين، كقوله تعالى: ﴿يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر﴾» (٦).

٢ - السجع الطويل، وهو ما تكون الأجزاء فيه مؤلفة من ثلاثة ألفاظ وأربعة وخمسة - إلى العشرة، مثل قوله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾» (٧).

وقد أضاف الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) نوعا آخر سماه السجع المتوسط ومثل له بقوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا، ويقولوا سحر مستمر﴾» (٨). كما أضاف نوعا من السجع متميزا من حيث نهايات الجمل فيه سماه المظهر بضم الميم وتشديد الراء وفتحها. وهو ما تختلف فيه الفاصلتان في الوزن، مثل قوله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا، وقد خلقكم أطوارا﴾» (٩). أما ما تتفق فيه ألفاظ الجملتين أو يتفق أكثرها في الوزن والقافية فقد سماه القزويني (الترصيع) ومثل له بقول الحريري: «فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه»، وقول أبي الفضل الحمذاني «إنّ بعد الكدر صفوا، وبعد المطر

صحوا^(١٠)، وقد قال عنه العسكري كما بينا أنه سجع في سجع . فغلب
ولقد شعب بعض علماء البلاغة في السجع وفرعوا فيه وتفننوا في تقسيمه
والتفصيل في الحديث عنه بما لا حاجة لنا في هذا المجال لذكره ويمكن
الرجوع إليه في مظانه^(١١).

ووضع بعض علماء البلاغة للسجع شروطا ورأى أنه لا يحسن أو يصفو إلا
باجتماع هذه الشروط . وجمع يحى العلوي في كتابه الطراز هذه الشروط ،
ويمكن تلخيصها على النحو التالي: (١٢)

١ - أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة المذاق رطبة ، صافية على السماع ،
حلوة طيبة ، تشتاق إلى سماعها الأنفس ويلذ سماعها على الأذان ،
مجنبة عن الغشائية والرداءة . ويقصد بالغشائية والرداءة : « أن الساجع
يصرف نظره إلى مؤاخة الأسجاع وتطابق الألفاظ ، ويهمل رعاية حلاوة
اللفظ وجودة التركيب وحسنه » .

٢ - أن تكون الألفاظ المسجوعة في تركيبها تابعة لمعناها . ولا يكون المعنى فيها
تابعاً للألفاظ فتكون ظاهرة التمويه وباطنة التشويه . ومفاد ذلك هو
« أنك إذا تصورت في نفسك معنى من المعاني ، فإنك إذا أردت أن
تصوغه بلفظ مسجوع ولم يؤاتك ذلك ، ولا سمحت قريحتك به إلا
بزيادة في ذلك اللفظ أو نقصان منه من غير حاجة إلى ذلك النقصان
وتلك الزيادة ، وإنما تأتي بالزيادة والنقصان من أجل تسوية السجع
وإظهار جوهرة لا من أجل المعنى ، فما هذا حاله هو الذي يذم من
التسجيع ويقبح لما فيه من إصلاح اللفظ دون المعنى ، ولما فيه من
التكلف والتعسف المستغنى عنه » . (١٣)

٣ - أن تكون المعاني الحاصلة عن تركيب العبارات المسجوعة وضم بعضها إلى

البعض الآخر مألوفة غير غريبة ولا مستنكرة ولا ركيكة مستبشرة ولا

متنافرة بسبب التركيب . (12) فكلها على ما ينبغي بحيث يخلق

٤ - أن تكون كل واحدة من السجعتين دالة على معنى مغاير للمعنى الذي دلت عليه الأخرى .

هذا هو ملخص الشروط التي جمعها العلوي ، والظاهر أنها مستفادة مما أشار إليه العسكري ووضعه كل من ابن سنان الخفاجي وابن الأثير وغيرهما ممن تطرق إلى الحديث عن السجع ، من النقاد والبلاغيين العرب القدماء .

(13) فكلها على ما ينبغي بحيث يخلق
١٢ - فكلها على ما ينبغي بحيث يخلق

السجع ظاهرة لغوية بلاغية:

يعد السجع ميزة من مميزات البلاغة الفطرية وفنا من فنون الكلام تتمثل فيه نزعة الإنسان إلى التنغيم وتنسيق الإيقاع الصوتي cadence واستغلال موسيقى اللغة وإيقاعات أصواتها وألفاظها بغية التأثير وتحقيق المشاركة الوجدانية وتأكيد التواصل النفسي والفكري بينه وبين أفراد جنسه ، كما يظهر فيه ميل هذا الإنسان إلى التذوق الفني والتفنن في التعبير . والميل إلى التنغيم وتنسيق الإيقاعات الصوتية للكلمات والعبارات شائع في كثير من اللغات ، فلا نعدم أن نرى في حكم وأمثال كثير من الأمم ، بل في نماذج كثيرة من ميراثها النثري نوعاً من التناغم أو انسجام الأصوات في تلاحق الكلمات وتوافق الحروف الأخيرة في العبارات ، وقد أورد الدكتور زكي مبارك بعض الأمثلة من اللغة الفرنسية على ذلك كان منها :

Qui va a la chasse, perd sa Place

Qui se ressemble, s, assemble⁽¹³⁾

فالذي نراه في هذين المثالين ما هو إلا نوع من التسجيع . وقد عرف هذا

الفن من التعبير في الأدب الأوربي الحديث أيضاً^(١٤). فقد اتجه عدد من الكتاب الأوربيين إلى كتابة النثر الموقع الذي تبنى فيه الجمل على إيقاعات منتظمة وأشكال ومقاطع صوتية متوازية وفواصل متساوية. يقول الكاتبان رينيه ويليك وأوستن وارن في سياق حديثهما عن الإيقاع الفني في النثر: (١٥)

«لسنا بحاجة إلى الدخول في تحليل مفصل لهذه الصناعات: فمن الواضح أن لها تاريخاً طويلاً قد تأثر تأثراً عميقاً بنثر الخطابة اللاتينية. وقد بلغ النثر الإيقاعي بالإنكليزية أوجه في القرن السابع عشر على يد كُتّاب من أمثال سير توماس براون وجيرمي تايلور، ثم أفسح الطريق إلى قول أكثر ميلاً نحو بساطة اللغة الدارجة في القرن الثامن عشر، حتى ولو ظهر في نهايته أسلوب جديد هو (الأسلوب الفخم) أسلوب جونسون وجييون وبرك. وقد بعث مرات متعددة في القرن التاسع عشر على يدي دي كوينسي ورسكين، أمرسون وملفيل، كما بعث مرة أخرى، ولو على أسس جديدة، على يدي جرتروود شتاين وجيمس جويس. وفي فرنسا نجد روعة نثر بوسمبيويه وشاتوبريان، أما في ألمانيا فهناك نثر نيتشه الموقع، وفي روسيا هناك فقرات شهيرة في كتابات غوغول وتورجينييف، ومؤخراً نجد «النثر المزخرف» لدى أندريه بايلي (Andrey Beyeyl).

ويتحدث الكاتبان عن آراء النقاد الأوربيين في القيمة الفنية للنثر الإيقاعي بقولهما: «ما تزال القيمة الفنية للنثر الإيقاعي مجال الجدل وقابلة للجدل. فلو راعينا النظرة الحديثة في تفصيل صفاء الفنون والأنواع، فإن معظم القراء المحدثين يفضلون شعرهم الشعري ونثرهم النثري. وهم يشعرون بأن النثر الإيقاعي شكل مختلط، لا هو بالنثر ولا هو بالشعر، وإن

كان هذا يبدو من التحامل النقدي لآيماننا . وقد يفترض أن يكون عن الشر الإيقاعي كالدفاع عن الشعر . فإذا استخدم استخداما حسنا اضطرنا إلى المزيد من الاطلاع على النص : فهو يبرز ، وهو يربط ، وهو ينشئ تدرجات ويوحي بتوازنات ، وهو ينظم الكلام ، وكل تنظيم فن .

ولقد ساعد على تطور هذا الفن لدى العرب قديما ثراء اللغة العربية وموسيقاها وتشابه أوزان كثير من ألفاظها^(١٦) من جانب ، واعتقاد الناس على الحفظ في رواية ونقل مآثور الكلام وسهولة حفظ الكلام المسجوع لتوقعه ووجود التوازن بين أجزائه وتشابه نهايات هذه الأجزاء من جانب آخر ؛ هذا بالإضافة إلى شغف العرب بالبلاغة بجمال المنطق وموسيقاه ؛ لذلك فإننا نجد السجع في كثير من خطبهم وعهودهم وحكمهم وأمثالهم وأقوالهم المأثورة^(١٧) .

يقول المستشرق الألماني فريتس كرنكو (Freitz Krenkow) : «ولعل السجع أول أسلوب مختار ارتضاه العرب قبل أن يصطنعوا البحور المقيسة»^(١٨) . ومع أن طه حسين يرى أسبقية وجود الشعر في الأدب الجاهلي إلا أنه يعتقد بأن تأثر العرب بالحياة الحضارية العامة دعا إلى نشوء «نوع من الشر لم يتحلل من قيود الشعر كلها وإنما تحلل منها بعض الشيء ، لم يلتزم فيه الوزن ، وإنما التزم فيه القافية التزاما ما ؛ فنشأ السجع الذي كان يلتزم في بعض الخطابات الفنية وفي بعض الرسائل الفنية أيضا»^(١٩) ، جنبا إلى جنب مع الشعر . ويذكر الجاحظ أن قضاة العرب ورجالهم في الجاهلية من أمثال الأقرع بن حابس وضمرة بن ضمرة وهرم بن قطبة وربيعة بن حذار كانوا يحكمون ويتفرون بالأسجاع . بل إن بعض كلام الجاحظ يوحي بأن السجع كان حرفة وصناعة يقصد إلى تعلمها والمهارة فيها حتى في صدر

الإسلام. (٢٠) *البيان في بيان السجع* لـ *أبي علي* ثعلباني

بقي هذا النمط التعبيري سائدا بعد مجيء الإسلام، ليس في أقوال ووصايا وخطب البلغاء وأمثال عامة الناس فحسب، وإنما ظهر في أحاديث الرسول الكريم ﷺ وخطب ورسائل الخلفاء الراشدين أيضا. (٢١) وظل واحدا من أنماط التعبير المألوفة لدى خطباء العرب وأدبائهم وحكامهم وزهادهم ووعاظهم ونساکهم، يظهره الطبع في كلامهم دون تعسف (٢٢) أو زيادة تكلف أو خروج عن الطرق الطبيعية في التعبير الموروث أو المألوف. كما تشجع عليه نزعة تنعيم وتوقيع وتقفية الكلام وجعله كالشعر في الأنس إليه وسهولة حفظه وتداوله. يقول الجاحظ إنه «قيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى السرقاشي: لم تؤثر السجع على المشور، وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن؟ قال: إن كلامي لو كنت لا أمل فيه إلا سماع الشاهد لقل خلافي عليك، ولكني أريد الغائب والحاضر، والراهن والغابر؛ فالحفظ إليه أسرع، والأذان لسماعه أنشط؛ وهو أحق بالتقييد وبقلة التفلت؛ وما تكلمت به العرب من جيد المشور، أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المشور عشرة، ولا ضاع من الموزون عشرة» (٢٣).

وعندما اتسعت الحضارة في العصر العباسي وغلب على الناس ترف الحياة وحب الزينة والزخرف والتأنق والتنميق في العيش والاهتمام بالمظاهر والأشكال، وشمل ذلك الحياة الأدبية برز أسلوب السجع في الكتابة كلون؛ من ألوان التصنيع ومظهر من مظاهر ترف العقل والتأنق في التعبير والميل إلى زخرف القول والمبالغة في العناية بالألفاظ. وقد ساعد على ذلك تطور الحركة الثقافية وظهور التنافس بين الأدباء على الحصول على المناصب الكتابية والسياسية وعلى إبداء ما لدى كل منهم من سعة الاطلاع ومن حصيلة وافرة

من مفردات اللغة وتراكيبها وصيغها ومن براعة في التلاعب بالألفاظ ومعرفة
بألوان البديع . هذا بالإضافة إلى ضعف السلائق وتباطؤ بعض القرائح أو
قصورها عن امتلاك زمام اللغة وملكة التعبير المترسل الأصيل بسبب تأثر
الناس بحضارات ولغات الأمم غير العربية ، أو بسبب وجود طائفة من
الكتاب العرب المسلمين انحدروا من سلالات غير السلالة العربية ولم يكونوا
متمكنين من اللغة تمكن أهلها الفصحاء منها .

إن ضعف السلائق في التعبير أو اضمحلال الطريقة والروح العربية القديمة لم يكن عاملاً في ظهور السجع كما تصور آدم متر^(٢٤) وإنما كان في الحقيقة عاملاً لظهور التكلف في السجع وبروزه كلون من ألوان التصنيع والتنميق في التعبير كما بينا؛ فالسجع كان موجوداً على نحو ما بينا في رسائل العرب وخطبهم وأقوالهم منذ العصر الجاهلي وبقي استخدامه مألوفاً بعد مجيء الإسلام والشواهد عليه كثيرة، إلا أن التزامه أو تكلفه في الكلام كان متجنباً إلا من قبل فئة قليلة. (٢٥)

وقد شاع استخدام السجع بين أصحاب الدواوين في الخلافة العباسية وظهر بكثرة فيما كان يصدر عنهم من رسائل سيامية^(٢٦)، كما شاع استخدامه بين عدد آخر من كتاب العصر، وبرز في هؤلاء جميعا عدد ممن كان يتم بالسجع فيما يكتب مثل: جعفر بن يحيى البرمكي (ت ١٨٧ هـ) صاحب الدواوين في عهد الرشيد، وعمرو بن مسعدة (ت ٢١٧ هـ) القائم بشئون الدواوين في عهد المأمون، وإبراهيم بن العباس الصولي (ت ٢٤٣ هـ)، وأبو العباس بن ثوابه (ت ٢٧٧ هـ)...

على أن اهتمام الكتاب بالسجع في بدايات هذا العصر لم يكن يعني التزامهم به وأنهم كانوا يعمدون إليه دائما، فقد كانوا يسجعون في كتبهم

على أن اهتمام الكتاب بالسجع في بدايات هذا العصر لم يكن يعني التزامهم به وأنهم كانوا يعمدون إليه دائماً، فقد كانوا يسجعون في كتبهم

ورسائلهم وخطبهم أحيانا وأحيانا لا يسجعون، وظل هذا شأنهم في الكتابة حتى أواخر القرن الثالث. (٢٧)

يقول عبد الله بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ): «ومن الكتاب المحدثين من كان يستعمل السجع كثيرا، ولا يكاد يخل به، وهو أبو إسحاق إبراهيم ابن هلال الصابي، وأبو الفرج المعروف بالبيغاء، ومنهم من كان يتركه ويتجنبه وهو أبو الفضل محمد بن حسين بن العميد، وطريقة غير هؤلاء استعماله مرة ورفضه أخرى، بحسب ما يوجد من السهولة والتيسير أو الإكراه والتكلف، فأما عبد الحميد بن يحيى، وعبد الله بن المقفع، وأبو الربيع محمد ابن الليث، وجعفر بن يحيى بن خالد، وإبراهيم بن العباس، وسعيد بن حميد، وأبو عثمان الجاحظ، وأبو علي البصير، وأحمد بن يوسف، وإسماعيل ابن صبيح، ومحمد بن غلاب، ومحمد بن عبد الله الأصفهاني، وابن ثوبان، وأبو الحسين أحمد بن سعد، وأبو مسلم محمد بن بحر، وأشباههم، فإن السجع فيما وقفت عليه من كلامهم قليل، لكنهم لا يكادون يخلون بالمناسبة بين الألفاظ في الفصول والمقاطع، إلا في اليسير من المواضع» (٢٨).

وفي القرن الرابع حيث أصبح أساس البلاغة أن تكون زخرفا وزينة وتنميق ألفاظ شاع استخدام السجع بين كتاب الدواوين وغيرهم، بل حتى بين الخلفاء والوزراء أنفسهم، «فليس هناك وزير ولا كاتب إلا وهو يتخذ السجع في صياغته» (٢٩)، وليس هناك شيء يكتب إلا ويصاغ في أسلوب السجع. ونبغ في استخدام السجع والمبالغة في العناية به أمثال ابن العميد أستاذ مذهب التصنيع وأوحد عصره في الكتابات كما يقول عنه الثعالبي (٣٠) والصاحب بن عباد أستاذ البلاغة والأدب في زمانه وأبي إسحاق الصابي الذي قال عنه ياقوت الحموي إنه أوحد الدنيا في إنشاء الرسائل. لقد بلغ هؤلاء

الثلاثة بمذهب التصنيع مبلغا عظيما وبالغوا في انتخاب وتنميق الألفاظ وصقل العبارات وتنقيح السجع فيما كانوا يكتبون أو يقولون ورفعوا كثيرا من الحواجز التي كانت تفصل النثر عن الشعر حتى أصبح نثرهم شيئا بين الشعر والنثر لاعتماده على الوزن والموسيقى والسجع والزخرف اللفظي وألوان البديع^(٣١). وقد بلغ كلف ابن عباد بالسجع درجة أنه كان يسجع حتى في حديثه وكلامه^(٣٢).

بلغ الاهتمام بالسجع ذروته عندما اشتدت موجة التصنيع وأصبحت العبارات لدى فئة من الكتاب أمثال أبي بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني وقابوس بن وشمكير لا تؤدي شيئا كما يقول شوقي ضيف «سوى أسجاع وضروب من بديع»^(٣٣)، وأصبح التعبير الأدبي البليغ لديهم لا يعني غير التهويل والمبالغة والإفراط في التنميق والتحجير واستخدام الجمل المسجوعة ورص العبارات والتحدلق في صياغة التراكيب، وأصبح الكلام كما يقول الخوارزمي نفسه: «سجعا ملزما وكلاما ملفقا»^(٣٤). والرسائل والمقامات التي ورثناها عن هذا العصر تجسد لنا هذه الحقيقة، وهذا بالطبع لا يعني الغرض من قيمتها الفنية واللغوية وما تحتويه من مظاهر الإبداع وخصوصية الفكر والإنشاء الرفيع.

بالغ عدد كبير من كتاب القرن الرابع في توشية وتنميق رسائلهم وكتاباتهم عامة وترصيعها بألوان البديع والأسجاع حتى ليخيل للإنسان كما يعبر شوقي ضيف «كأنها تحولت صناعة النثر في تلك العصور عن طبيعتها الأولى تحولا تاما، إذ أصبحت أشبه ما تكون بصناعة أدوات الترف والزينة، فهي تحف تنمق في أروع صورة للتنميق، وكل كاتب يتوفر على إحداث هذه التحف توفرا يتيح له أن يشارك في آياتها وبدائعها، وإنه ليعنت نفسه في سبيل ذلك

إعناتاً بعيداً»^(٣٥) وحتى ليخيل «إلى الإنسان وهو يقرأ رسالة للخوارزمي أو للبديع أنه يقرأ في أساليب كتبت لتحفظ لا لتعبر عن معنى، فالمعاني فقدت قيمتها، ولم يعد لها أهمية، إنها الأهمية كلها للألفاظ وما تطرز به من وشي وحلي»^(٣٦). وقد بلغ كلف البعض من الكتاب بالسجع حداً يكاد لا يعقل.

يقول أبو حيان التوحيدى (ت ٤٠٠ هـ) واصفاً ولع إسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) بالسجع ومبالغته في تكلفه: «وكان كلفه بالسجع في الكلام والقول، عند الجد والهزل، يزيد على كلف كل من رأيناه في هذه البلاد، قلت لابن المسيبي: أين يبلغ ابن عباد في عشقه للسجع؟ قال: يبلغ به ذلك لو أنه رأى سجة تنحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة، ويحتاج من أجلها إلى غرم ثقیل وكلفة صعبة وتجشم أمور وركوب أهوال لما كان يخف عليه أن يفرج عنها ويخليها، بل يأتي بها ويستعملها، ولا يعأ بجميع ما وصفت من عاقبتها»^{٣٧}. وقد ذكر أن سجة اضطرته إلى عزل قاضي مدينة قم: فإنه قال يوماً: أيها القاضي بقم، ثم حاول أن يكمل فأعنته ذلك فقال: قد عزلناك فقم. وروي عن معاصر محمد بن الحسين بن العميد (ت ٣٦٠ هـ) أنه قال: «خرج ابن عباد من عندنا من الري متوجهاً إلى أصفهان وطريقه رامين... فجاوزها إلى قرية غامرة وماء ملح لا شيء إلا ليكتب إلينا: كتابي هذا من النوبهار، يوم السبت في نصف النهار»^(٣٨).

ولم يكن ابن عباد وحيداً في ولعه بالسجع، فقد تحمل غيره من الكتاب مشقة السفر من أجل سجة^(٣٩)، وبلغوا في الغرام بالسجع والإفراط في التكلف فيه مبلغاً^(٤٠) ولم يكن لبعضهم القدرة على التحرر من سلطان السجع حتى في الرسائل المطوية والأحاديث العامة والمناظرات، فقد نقل أن بدیع الزمان الهمداني (ت ٣٩٨ هـ) «حينما سجل المناظرة التي جرت بينه

وبين غريمه أبي بكر الخوارزمي لم يحاول أن يتخلص من سلطان السجع على قلمه، رغم أن مثل هذه المواقف تحتم عليه الانطلاق والتخلص من قيود السجعة لما يحتاجه من بسط وتحرر^(٤١).

وقد زحفت موجة السجع إلى أسماء الكتب وعناوين الرسائل، فبعد أن كنا نجد الكتاب يختارون لكتبهم ورسائلهم في الغالب عناوين تدل على موضوعاتها دون توشية أو تنميق أو مشاكلة مقصودة في ألفاظها، فيختار عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢ هـ) لرسائله وكتبه عناوين مثل: «الأدب الصغير» و«الأدب الكبير» و«اليتيمة». ويختار عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) عناوين مثل: «البخلاء»، «البيان والتهيين»، «الحيان»... أصبحنا نجد في القرن الرابع وما بعده عددا من الكتاب يغلب الميل إلى التسجيع في تسمية كتبهم، وربما تكلفوا وتعسفوا في تسجييعها، كما فعل القاضي المحسن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤ هـ) في تسمية بعض كتبه مثل: كتاب «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة»، و«المستجد من فعلات الأجواد»، وكما فعل عبد الملك الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) في وضع عناوين بعض من كتبه مثل كتاب: «يتيمة الدهر ومحاسن أهل العصر»، «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» و«غرر البلاغة وطرف البراعة». وما ذلك إلا تأثرا بموجة السجع التي طغت في ذلك العصر. وقد ظل هذا الاتجاه في تسمية الكتب والرسائل مستمرا فترة طويلة من الزمن^(٤٢).

والقول بشيوع استخدام السجع في الفترة المشار إليها لا يعني عموم استخدامه من قبل كتاب العصر، فالاهتمام بالسجع لم يصل في الحواضر الإسلامية إلى ما وصل إليه في بغداد، ولم يصل استخدامه في الخطب

والتوازي مثلاً إلى ما وصل إليه في الرسائل والمقامات . وقد سبقت الإشارة إلى أنه كان هناك من الكتاب في عاصمة الخلافة العباسية عموماً من كان يتجنب استخدام السجع أو لا يتكلفه ولا يكثُر منه . بل إن الغلو في التصنيع والتنميق في التعبير والإفراط في تكلف السجع أو في الاهتمام به من قبل من ذكرناهم من الكتاب وأضرابهم كان له في الحقيقة ما يشبه ردود الفعل السلبية لدى طائفة من الناس .

لقد ضاق كثير من الناس ومن بينهم عدد من النقاد ذرعاً بهذا الغلو في التأنيق اللفظي الذي فقدت معه المعاني والمواقف أهميتها وأصبحت الكتابات مجرد زينة ودندونات أو طنطنات صوتية قد تضعيع أو تشوش بها الحقائق .

يقول المسعودي إنّ الخليفة القاهر (ت ٣٣٩ هـ) طلب من محمد بن علي العبدي الخراساني - وهو ممن وقف على أخبار بني العباس - أن يصف له خلفاءهم وحدّره بشدة من أن يخفي عنه شيئاً أو يتصنع وينمق في لفظه ويسجع في كلامه^(٤٣) مما يوحي بأن الخليفة قد ملّ السجع أو كرهه أو أنه خاف أن يؤدي تكلف استخدام السجع وتنميق الكلام إلى تحريف الحقائق والمبالغة والتحويل في وصفها .

ويعبر ابن الأثير عن ضيق النقاد بما شاع من الإفراط في تزويق الكلام بالأسجاع بقوله : «وقد رأيت جماعة من متخلفي هذه الصناعة يجعلون همهم مقصوراً على الألفاظ التي لا حاصل وراءها ، ولا كبير معنى تحتها ، وإذا أتى بعضهم بلفظ مسجوع على أي وجه كان من الغثاء والبرودة يعتقد أنه قد أتى بأمر عظيم ، ولا يشك في أنه صار كاتباً مفلحاً . وإذا نظر إلى كتاب زماننا وجدوا كذلك ، فقاتل الله القلم الذي يمشي في أيدي الجهال الأغمار ، ولا يعلم أنه كجواد يمشي تحت حمار»^(٤٤) .

وقد بلغ من ردود الفعل أن كان بعضهم يستهين بالسجع ويعتبره نوعاً من الترميق الذي يتناسب مع ما يرغبه عوام الناس وليس خاصتهم. يقول محمد ابن أحمد المقدسي (ت ٣٨٠ هـ) في سياق مقدمته لكتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»: «وربما سجعت في مواضع ليتفرج إليها عوام الناس؛ لأن الأدباء يختارون الثر على النظم والعوام يحبون القوافي والسجع»^(٤٥) ومع أن هذا الادعاء مبالغ فيه من قبل المقدسي، إلا أنه يوحى بما ولد الإفراط في تكلف الأسجاع من ردود فعل ومواقف سلبية حتى لدى أولئك الذين بدا عليهم التأثر بأسلوب السجع أو الاستئناس به والميل إليه.

آثار ظاهرة السجع على التراث الأدبي العربي:

الآثار الإيجابية:

على الرغم مما أحدثته مغالاة بعض الكتاب في الاهتمام بالسجع من ردود فعل ومواقف سلبية من السجع، فإن السجع بقي على مكانته لوناً من ألوان التعبير العريقة في الأدب العربي. تطور هذا الفن لدى العرب كما سبق القول بفضل ما تميزت به لغتهم من ثراء وسعة، وقد كان له في الوقت نفسه دور مهم في إبراز ذوقهم الفني المتميز، وإظهار ثراء لغتهم وقابليتها على مواكبة التطورات الحضارية التي شهدوها أو مروا بها. أما ازدهار السجع وشيوع استخدامه في القرن الرابع على الأخص فقد شكل ظاهرة لغوية بلاغية، كان لها أهميتها ودورها في إبراز جانب من الترف الفكري والترف الفني واللغوي الذي وصل إليه المسلمون

العرب إبان ازدهار حضارتهم ودولتهم . فقد أرتنا هذه الظاهرة ما بلغه العقل العربي في هذه الفترة من قدرة على التفنن في استخدام اللغة بنبيرات حروفها وإيقاعات كلماتها وأنغام تراكيبيها وجميع إمكاناتها كأدات للتعبير عن الفكر والإحساس معا ، وكما شارك فن السجع الشعر في إظهار شاعرية اللغة كذلك شاركه في إبراز شاعرية الإحساس العربي والطبيعة الموسيقية التي تميز بها .

لقد حملت إلينا الرسائل الديوانية والإخوانية والمقامات التي ورثناها عن الفترة التاريخية المذكورة بما فيها من أسجاع وبراعات لغوية وبلاغية ثروة فنية ولغوية راقية . يقول آدم متز : «رسائل القرن الرابع الهجري هي أدق آية على ازدهار الفن الإسلامي ؛ ومادتها هي أنفوس ما عالجته يد فنان ، وهي اللغة ، ولو لم تصل إلينا آيات الفن الجميلة التي صنعتها أيدي الفنانين في ذلك العهد من الزجاج والمعادن لاستطعنا أن نرى في هذه الرسائل مبلغ تقدير المسلمين للرشاقة الرقيقة ، وامتلاكهم لناصية البيان في صورته الصعبة وتلاعبهم بذلك تلاعبا ، وليس من محض الاتفاق أن كثيرا من الوزراء في ذلك العهد كانوا من أساتذة البيان وأعلامه ، ولذلك استطاعت رسائلهم أن تنال من التقدير ما جعلها خليفة أن تنشر كتباً للناس» (٤٦) .

وقد كان شيوخ ظاهرة السجع في الفترة المشار إليها من الأسباب التي دفعت إلى ابتكار نظام القافية في تصنيف الألفاظ في المعجمات اللغوية ، أي ترتيب الكلمات بحسب أواخر حروفها الأصلية ، وهو نظام ابتكره إسحاق ابن إبراهيم الفارابي (ت ٣٥٠ هـ) وطبقه في كتابه «ديوان الأدب» ، وتبعه فيه ابن أخيه إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٤٠٠ هـ) في معجمه المشهور «الصحاح» . ولقد كان لهذا النظام الجديد في تصنيف المفردات اللغوية أثره

الكبير. يقول أحد الباحثين: إن هذا النظام «بهر العيون إعجاباً، وبقي من بعده محافظين عليه العصور الطوال»^(٤٧)، وقد تبناه عدد من المعجميين العرب البارزين وسارت عليه معظم المعجمات العربية الشهيرة مثل لسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، وتاج العروس للزبيدي...

يقول الدكتور حسين نصار: «وكان السبب في اللجوء إلى هذا النظام شيوع السجع في القرن الرابع... وحاجة الأدباء إلى الكلمات المتحدة الحرف الأخير. ومن الأسباب أيضاً اختفاء العرب من بين الشعراء وغلبة الأعجام على الشعر، وفقر محصوهم اللغوي، وحاجتهم إلى البحث عن الألفاظ التي تتفق مع قوانينهم. وكان العرب قديماً قديرين على الإتيان بها دون البحث في الكتب، لأن اللغة لغتهم. والحق أن الشعراء المولدين والساجعين كانوا يشغلون بال اللغويين والنحويين في ذلك العصر، وكان بعض هؤلاء يتساعون معهم في أشياء كثيرة ويعدون لهم أمورا لم تأت عن العرب ليستخدموها إذا ما اضطروا إليها»^(٤٨). والواقع أن من اللغويين أنفسهم من كان يعشق السجع، وربما رأى أن في تأليف معجم لغوي على نظام الحرف الأخير في الكلمة ما يلبي رغبته أو ينسجم مع عشقه للسجع؛ فعلى الرغم من أن الجوهري صاحب الصحاح - والذي يعتبر رائداً لهذا النظام لأنه كان أول من ألف معجماً ضخماً خاصاً به - ولم يشر في مقدمته إلى هذا الدافع، إلا أن مقدمته على قصرها تكشف ميله إلى التسجيع في الكلام أو حبه للسجع^(٤٩). على الرغم من كل ذلك فإننا لا نرى أن شيوع ظاهرة السجع وتأثر اللغويين أنفسهم بهذه الظاهرة يشكل الباعث الوحيد للجوء إلى هذا النظام، فقد كانت هناك بواعث أخرى، وربما كانت نزعة المفكرين

المسلمين في ذلك العصر إلى التحديد والابتكار واحدا من أهم هذه البواعث .

مهما يكن من أمر فإن هذا النظام بلا شك قد أعان المحتاجين إلى الأسجاع والقوافي وسهل عليهم حصول ما يحتاجونه من الألفاظ مما جعله موضع اهتمام وجعل المعاجم التي سارت عليه موضع إقبال وتقدير وشجع على الاستمرار في تبنيه من قبل عدد من اللغويين البارزين . وهكذا كان لشيوع ظاهرة السجع دور بارز في نشوء وتطور نظام جديد رائع من نظم التأليف المعجمي .

الآثار السلبية:

على أن ظاهرة الاهتمام بالسجع لا تخلو من آثار ومظاهر سلبية ؛ فقد عكست بعض النماذج المثقلة بالسجع ضعف الملكات البيانية لدى بعض الكتاب وخصوصا أولئك الذين انحدروا من أصول غير عربية وعجز هذه الملكات عن التعبير الشعاري أو النظم الشعري الأصيل ولجوء أصحابها إلى التسجيع كنوع من التعويض . كما تسببت هذه الظاهرة في الوقت نفسه في إبعاد طائفة من الكتاب الموهوبين عن أصالة التعبير والسلامة التي عرفتها العربية لدى المترسلين من الأدباء من أمثال عبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ ؛ لقد انشغل عدد من كتاب الأسجاع بتنميق تعبيراتهم وتوشيتها وحفظ الألفاظ المتشاكلة ورصها وتكوين التراكيب المسجوعة بها عن العمل الذهني وعن إنتاج الأعمال الفكرية ذات القيمة الإبداعية العالية ، وضعف لديهم الميل إلى التعبير الحر ، وكان من الممكن أن يكون الكم الإبداعي أو النتاج الفكري الإسلامي العربي الرفيع لولا نشوء وتطور هذه الظاهرة أكثر

ثراء وسعة. ^{٥٠} النقاد العرب لم يكتفوا بذلك بل ذهبوا إلى

إضافة إلى ما سبق فإن ظهور تلك النماذج الشعرية المليئة بالأسجاع والتعبيرات الفارغة والطنطنات اللفظية المنصنعة والقوافي المروصصة تسبب في إيجاد صورة غير محموددة للتراث الشعري الأدبي العربي أو لجانب منه؛ إذ صور النتاج الشعري الأدبي - وخاصة لدى من لم يستق ويتبع الآثار الشعرية العربية على مختلف أشكالها وفنونها ولم يدرك التطورات التي مرت بها هذه الآثار صوره على أنه هو باللغة وعبث بالفاظها وزخرف من التعبير ليس وراء طائل سوى معان ضحلة وأفكار سقيمة وألفاظ عويصة، مما شجع عددا من المغرضين على النيل من التراث العربي الإسلامي بتقديم هذه النماذج على أنها مثال لأبرز ما في الأدب العربي من إبداع وفن. على أن هناك من المستشرقين من نبه على ما تحمله هذه النماذج من عناصر سلبية وبين أسباب سقمها وفرق بينها وبين النتاجات الشعرية العربية الرفيعة.

يقول فريتس كرنكو: «وهذا الإفراط في السجع قد يرجع إلى فساد ذوق الذين كانت لهم الكثرة من الرسائل العربية منذ العهد العباسي. ويبدو أن هذا الداء أخذ ينتشر رويدا رويدا نحو الغرب، وكان من الأسباب الكبرى التي حالت بين الذوق الأوروبي واستساغة كثير من الآثار الإسلامية سواء العربية منها أو الفارسية أو التركية أو أي آثار أخرى كتبت بغير ذلك من اللغات التي خضعت لسلطان المسلمين» ^(٥٠) عنه انشأ بقا : لغة ليل

لقد كان بعض ذلك الإفراط في استخدام السجع ناتجا بالفعل عن فساد ذوق بعض الكتاب الذين ينتمون إلى أصول غير عربية، وكانت أسجاع هؤلاء الكتاب شاهدا على ضعف لغتهم وطموحهم إلى قول الشعر مع عجزهم عنه كما بينا، إلا أن كلام كرنكو فيه شيء من المبالغة، ويثير نوعا من

التساؤل؛ إذ إن شيوع استخدام السجع كان ظاهرة فرضتها عدة عوامل عديدة كما سبقت الإشارة، كما أن الإفراط في استخدام السجع لم يحل بين الذوق الأوربي واستساغة الآثار الإسلامية، فقد ترجمت كما هو معروف مقامات ورسائل من عُدوا من أكثر الناس مبالغة في استخدام السجع كالحمداني والحريري والحوارزمي إلى عدة لغات أوروبية، فإما أن تكون هذه النماذج قد ترجمت لكونها مستساغة أو بهدف الاطلاع على اللغة العربية وحل أعقد رموزها وأصعب تراكيبها أو لأهداف أخرى تنم عن مواقف غير إيجابية، على نحو ما ذكرنا.

وعلى كل حال فقد كان لذلك الإفراط في التسجيع أثر كبير في تزهيد الناس في قراءة النماذج المسجوعة عامة وفي تراجع الناس عن هذا اللون من التعبير شيئاً فشيئاً إلى درجة أن تقلص استخدامه على مر العصور.^(٥١) وأصبح استخدامه أو الميل إليه نوعاً من التحذلق والتنطع اللغوي البغيض حتى لدى بعض القدامى. وربما كان أبو بكر الباقلاني من هؤلاء القدامى.

الباقلاني وسجع القرآن:

الباقلاني هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب (٣٣٨-٤٠٣ هـ) وهو أحد كبار علماء الكلام الأشاعرة، ومن اشتهروا بالبراعة في المناظرة وقوة الحجة وسرعة البديهة وجودة الاستنباط^(٥٢). وقف جل حياته على طلب العلم والتدريس والمناظرة والتأليف، وله مؤلفات كثيرة في علم الكلام والأصول والعقائد وعلوم القرآن منها: كتاب «التمهيد» في مسائل الخلاف، وكتاب «الانتصار لصحة نقل القرآن والرد على من نحله الفساد بزيادة أو نقصان» و«البيان عن الفرق بين المعجزة والكرامة» و«دقائق الكلام»، وكتاب

«إعجاز القرآن»^(٥٣). ويعد أبرز هذه المؤلفات وأشهرها وأوثقها ارتباطا بعلوم

البلاغة والأدب واللغة.

لقد خصص الباقلاني كتابه الأخير للحديث عن مطاعن الملاحدة على أسلوب الذكر الحكيم والرد عليهم ونقض ما أشاعه فريق من المتكلمين من أن القرآن لم يكن معجزاً بذاته، إذ كان الناس يستطيعون أن يأتوا بمثله ولكن الله صرفهم عن ذلك. وقد تصدى الباقلاني للرد على هؤلاء مبينا أسرار الإعجاز في القرآن، لا بالسرد النظري وإنما عن طريق الدراسة والتحليل والمقارنة؛ فوازن بين آيات القرآن وبين كثير مما أجمع العلماء والأدباء على بلاغته وسمو فنه من أقوال العرب وأشعارهم ليثبت أن الذوق البياني والدليل العقلي يوجبان الحكم بأن القرآن «بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه». ويظهر أن الباقلاني قد تأثر في ذلك بفكرة الجاحظ الفائلة بأن مرجع الإعجاز في القرآن إلى نظمه وأسلوبه العجيب المبين لأساليب العرب في الشعر والنثر وما يرد فيه من أسجاع^(٥٤).

وقد تحدث الباقلاني في كتابه المذكور أيضا عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: فوقف عند إخبار القرآن بالغيوب وحديثه عن القرون الغابرة والأمم الماضية، ثم عقد فصلا لنفي الشعر عنه، وفصولا أخرى للحديث عن أوجه البديع المعروفة ووجوه البلاغة المألوفة لمعرفة مدى انطباقها على آياته، وعن كيفية الوقوف على إعجازه وعن قدر هذا الإعجاز، كما عقد خلال ذلك فصلا خاصا لبحث موضوع نفي السجع عنه.

أعرب الباقلاني في الفصل الذي عقده لمناقشة قضية السجع في القرآن عن تأييد الأشاعرة ومساندتهم كلهم لرأيه، وابتدأ حديثه بالرد على خصومه القائلين بوجود السجع في القرآن وسعى إلى نقض آرائهم بأدلة كثيرة اعتقد

أنها تدعم موقفه وذلك بعد أن أوجز أقوالهم ومزاعمهم بقوله: (٥٥) «لقد زعم القائلون بوجود السجع في القرآن بأن السجع من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان والفصاحة وأنه مما يبين به فضل الكلام، وقالوا بأن موسى أفضل من هارون بإجماع الكل، ومع ذلك فقد قيل في موضع (موسى وهارون) وقيل (هارون وموسى) في موضع آخر مراعاة للسجع. كما أن السجع في القرآن كثير ولا يمكن أن يكون كله قد وقع اتفاقاً ومن دون قصد إليه. ومزاعمهم هذه كلها غير صحيحة للأسباب التالية:

١ - إن القرآن لو كان سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلام العرب، ولو كان داخلاً فيها وواحدًا منها لم يقع بذلك إعجاز. ولو جاز أن يقال سجع معجز لجاز أن يقال شعر معجز أيضاً (٥٦).

٢ - إن السجع نوع من الكلام ألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أولى من نفي الشعر؛ لأن الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر.

٣ - إن النبي ﷺ قد ذم ونهى عن قوله من نطق به أمامه فقال له: «أسجعاً كسجع الكهان؟!». وهذا دليل على قبح السجع في الكلام وكرهية النبي له أو لاستخدامه فلا يمكن أن يكون - والحالة هذه - في القرآن منه شيء. (٥٧)

٤ - إن الذي يقدرون أنه سجع ليس بسجع في الواقع وإنما هو مشابه له؛ لأن السجع في الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي إلى السجع، وليس كذلك ما اتفق وجوده في القرآن؛ لأن الألفاظ في القرآن تابعة للمعاني (٥٨).

٥ - لو سلم بوقوع السجعة في بعض المواضع من القرآن كنوع من الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام فإن مثل ذلك لا يعد سجعاً

- لقلته ولأنه لم يكن مقصوداً إليه^(٥٨)
- ٦ - لو كان الذي في القرآن سجعاً لكان سجعاً مذكوماً لتفاوته واختلاف طرقه وخروجه عن الوزن^(٥٩) وقد كان العرب «يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الأجزاء» فكان بعض مصاريعه كلمتين، وبعضها أربع كلمات، ولا يرون ذلك فصاحة، بل يرونه عجزاً^(٦٠).
- ٧ - لو كان القرآن سجعاً لعارضه العرب حينما تحداهم ولما تحيروا فيه حتى سماه بعضهم سحراً؛ لأن السجع غير ممتنع عليهم، بل هو من الأساليب المعتادة عندهم المألوفة لديهم، وقد كان من عاداتهم التنافر والتنافس والتفاخر باللسن والفصاحة والذلاقة. فهم إنما تركوا معارضته لأنه يخالف لسائر أصناف كلامهم.
- ٨ - ما ذكروه من تقديم موسى على هارون في موضع، وتأخير عنه في موضع آخر لمكان السجع وتساوي مقاطع الكلام ليس بصحيح، فالقصد من ذلك ليس السجع وإنما هو إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة، فبذلك تظهر الفصاحة وتبين البلاغة. وقد أعيد كثير من القصص في مواضع كثيرة من القرآن على ترتيبات متفاوتة^(٦١).
- ٩ - من جَوَّز وقوع السجع في القرآن لا بد أن يذهب إلى أنه ليس في نظم القرآن إعجاز وإنما صُرف الناس عن الإتيان بمثله.
- ١٠ - لو صح أن يقال إن في القرآن سجعاً وأن السجع من أساليب العرب المحمود لما حاد عنه القرآن وكان التزمه في جميع آياته.
- ١١ - من جَوَّز وقوع السجع في القرآن فلا بد أن يسلم بوقوع الخطب في طريقة نظمها، وأن يكون قد استهان ببديع أسلوبه الذي وقع فيه التحدي لأنه لا بد من قوله بأن القرآن قد انتظم من أنواع شتى من

أساليب العرب وهذا غير ممكن»^(٦٢).

هذه هي خلاصة رأي الباقلاني في سجع القرآن وأهم ما ساق من أدلة وبراهين تدعم هذا الرأي. ومن الواضح أنه قد اندفع في موقفه وفي بحثه للموضوع متأثراً بموقف قومه الأشاعرة ويرأي الجاحظ المتقدم الذكر والذي مفاده أن أسلوب القرآن مخالف لأساليب كلام العرب وخارج عن مألوفهم.

الآراء المؤيدة لموقف الباقلاني في نفي السجع عن القرآن:

وقبل مناقشة أدلة الباقلاني وتحليلها لا بد لنا من أن نحيط بالشهور والمهم من أدلة مناصريه في رأيه ومؤيدي موقفه سواء ممن سبقه من العلماء أو ممن عاصره منهم وإن كان هؤلاء المؤيدون قلة؛ لتكون على علم بمجمل الحجج التي تدعم رأي هذا الفريق ومدى قدرتها على الصمود أمام أدلة الفريق الآخر من الذين يعتقدون وجود السجع في القرآن. وليتسنى لنا المقارنة بين أدلة الفريقين ومن ثم الوصول إلى الرأي الأقوى حجة والأجدر بالاتباع، وعلى ضوء كل ذلك نناقش أدلة الباقلاني بصورة خاصة؛ لأنها أساس الموضوع وصلبه.

لم ينفرد الباقلاني ولا الأشاعرة وحدهم بفكرة نفي السجع عن القرآن؛ بل سبق الباقلاني إلى ذلك بعض المهتمين بأمور البلاغة وعلوم القرآن من الأشاعرة ومن غيرهم، كما تبعه آخرون جاءوا من بعده.

لقد رفض أبو زكرياء الفراء المعتزلي (ت/ ٢٠٧ هـ) أن يسمى ما في القرآن سجعا وسمى نهايات الآيات برءوس الآيات^(٦٣). كما أخذ أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت/ ٣٨٦ هـ) بهذا الرأي، ففرق بين السجع والفواصل وعد السجع عيبا يجب أن ينزه عنه القرآن، بحجة أن المعاني تابعة للالفاظ في

السجع والقرآن ألفاظه تابعة لمعانيه ، وأن السجع في الكلام مأخوذ من سجع الحمامة الذي ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة . وقد أسمى الرماني الآيات التي تشابه نهاياتها في المقاطع أو الحروف بالفواصل ، وعد وجودها في الكلام من البلاغة والحكمة «لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها» (٦٤) .

ونفى السعد التفتازاني (ت/ ٧٩٣ هـ) وجود السجع في القرآن بحجة أن السجع في الأصل إنما هو سجع الحمام ، وكذلك لعدم الإذن الشرعي بجواز السجع . وإن كان قد تردد التفتازاني في توقف السجع على الإذن الشرعي (٦٥) . وقد وافقه بهاء الدين السبكي (ت/ ٧٦٤ هـ) في القول بعدم وجود السجع في القرآن لكونه في الأصل سجع الحمام أو سجع الطير (٦٦) .

أما أبو حامد الغزالي (ت ٥٩٥ هـ) فقد جاوز حد الرأي في نفي السجع عن القرآن إلى إيراد حديث في النهي عن السجع حتى في الدعاء (٦٧) . هذه فيما يبدو أهم الآراء المتفقة مع موقف الباقلاني والمعارضة لفكرة وجود السجع في القرآن . وهي - كما هو واضح - ظاهرة التقليد مفتقرة إلى العمق وإلى الحجج المقنعة ، متقاربة المعنى ، ضعيفة الدلالة للأسباب التالية :

١ - إن رفض الفراء لتسمية ما في القرآن سجعا من دون تبرير ليس رأيا يركن إليه ؛ لأنه لا دليل عليه ؛ فتسميته لنهايات الآيات بـ«وس» الآيات لا يمنع من وجود السجع فيها ، فقد فرق أبو عمرو السداني بين الفواصل و«وس الآي» وأوضح أن من رء وس الآي ما يكون فواصل (٦٨) ، وقد تبين أن من الفواصل ما يكون سجعا .

٢ - إن المعاني لا تكون تابعة للألفاظ في كل الأسجاع كما زعم الرماني ، وإنما يكون ذلك في السجع الركيك الذي لا يقع إلا في كلام الضعفاء

الذين ضاق بهم ويسجعهم النقاد، من أمثال أبي حيان التوحيدي وابن الأثير على نحو ما ذكر آنفاً، وهناك نوع آخر يكون اللفظ فيه تابعاً للمعنى ويقع موقعه الرائع كالسجع الذي ورد في أحاديث الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين.

٣- سمي الرماني المقاطع المتشابهة بالفواصل، والفواصل هي نهايات الجمل أو رؤوس الآي، «وكل رأس آية فاصلة»^(٦٩)، وسميت الفواصل بهذا الاسم لأن الكلام ينفصل عندها. والفواصل إذا تواطأت وافتقت في الوزن كانت نوعاً من السجع كما أشير إلى ذلك من قبل.

يقول العسكري في سياق حديثه عن وجوه السجع «فمنها أن يكون الجزءان متوازيين متعادلين لا يزيد أحدهما على الآخر مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه. وهو كقول الأعرابي «سنة جردت، وحال جهدت، وأيد جهدت. فرحم الله من رحم فأقرض من لا يظلم»، فهذه الأجزاء متساوية لا زيادة فيها ولا نقصان والفواصل على حرف واحد»^(٧٠).

وقد اعترض عبد الله بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) على ما زعمهم الرماني في التفريق بين السجع والفواصل فقال: «وأما الفواصل التي في القرآن فإنهم سموها فواصل ولم يسموها أسجاعاً، وفرقوا فقالوا: إن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه، والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في أنفسها، وقال علي بن عيسى الرماني: إن الفواصل بلاغة، والسجع عيب، وعلل ذلك بما ذكرناه من أن السجع يتبعه المعاني، والفواصل تتبع المعنى، وهذا غير صحيح، والذي يجب أن يمرر في ذلك أن يقال: إن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول على ما ذكرناه،

والفواصل على ضربين: ضرب يكون سجعاً، وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع، وضرب لا يكون سجعاً، وهو ما تقابلت حروفه في المقاطع ولم تتماثل، ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين - أعني المتماثل والمتقارب - من أن يكون يأتي طوعاً سهلاً وتابعاً للمعاني، بالضد من ذلك، حتى يكون متكلفاً يتبعه المعنى، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان، وإن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض. «(٧١)، ويورد ابن سنان أمثلة عديدة على كلا النوعين السجع والفواصل. ثم يعقب على ذلك قائلاً: «فأما قول الرماني - إن السجع عيب والفواصل بلاغة - على الإطلاق فغلط، لأنه إن أراد بالسجع ما يكون تابعاً للمعنى وكأنه غير مقصود، فذلك بلاغة والفواصل مثله، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعاني تابعة له. وهو مقصود متكلف، فذلك عيب والفواصل مثله، وكما يعرض التكلف في السجع عند طلب تماثل الحروف، كذلك يعرض في الفواصل عند طلب تقارب الحروف، وأظن أن الذي دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً، رغبة في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم، وهذا غرض في التسمية قريب، فأما الحقيقة فما ذكرناه. «(٧٢).

بناءً على ما تقدم يتضح أن الرماني في حقيقة الأمر لم ينف السجع عن القرآن حينما ادعى وجود الفواصل فيه، إذ ليس السجع في واقعه سوى نوع من الفواصل. «(٧٣) والواقع أن الذي دفع الرماني لنفي السجع عن القرآن هو تصويره للسجع بأنه تكلف التقفية، وبذلك كان لا بد له من أن ينزه القرآن عن التكلف. وقد رأينا أن من السجع ما تتواطأ الفواصل وتتفق القوافي فيه دون تكلف ومنه ما يكون متكلفاً غير محبب.

يميز لنا فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) المتكلف من السجع بقوله: «واعلم أن السجع قد يكون متكلفا بالتعسف، وعلامته أن يكون الحرف لم يحتاج إليه لأجل المعنى، وإنما احتيج إليه لأجل التقفية، أو إن كان فيه معنى، فقد ترك الأولى منه لأجل التقفية وذلك هو السجع القبيح» (٧٤).

٤ - كون أصل السجع مشتقاً من سجع الحمام لا يتنافى مع حسن السجع وبلاغة التعبير فيه. والسجع الذي يشابه سجع الطير أو سجع الحمام في كونه أصواتاً متشابهة أو متشاكلة بينها، على نحو ما نرى في سجع الكهان أو في سجع أصحاب الصنعة المتحذلقين من كتاب القرن الرابع، وليس السجع على إطلاقه. «أما قوله وسجع الحمام فلهذا قيل

٥ - إن الحديث الذي أورده الغزالي في النهي عن السجع في الدعاء حديث غريب. لم يكن مقصوداً به في الحقيقة النهي عن السجع في الدعاء عامة، وإنما المقصود النهي عن الدعاء بسجع متكلف متصنع ففي المغالاة ما يتنافى مع خضوع العبد وخشيته وتضرعه واتصاله الصادق بربه. وهذا هو ما يوحى به سياق حديث الغزالي نفسه: (٢٦٦ هـ) «ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين».

يقول الغزالي في جملة حديثه عن آداب الدعاء «أن لا يتكلف السجع في الدعاء، فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه. وقد قال الله عز وجل: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾، قيل معناه التكلف في الأسجاع، والأولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة، فإنه قد يعتدي في دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته، فما كل أحد يحسن الدعاء، ولذلك روي عن معاذ رضي الله عنه: إن العلماء يحتاج إليهم في الجنة، إذ يقال لأهل الجنة: تمنوا، فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء؟ وقد قال ﷺ: «إياكم والسجع في الدعاء، حسب أحدكم أن يقول

اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل» (٧٥).
ومما يؤكد الاستنتاج السابق ويزيده وضوحاً تعقيب الغزالي نفسه على حديثه السابق بقوله : «واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة ، وإلا ففي الأدعية الماثورة عن رسول الله ﷺ كلمات موازنة لكنها غير متكلفة كقوله ﷺ : «أسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنة يوم الخلود ، مع المقربين الشهود ، والركع السجود ، الموفين بالعهود ، إنك رحيم ودود ، وإنك تفعل ما تريد.» (٧٦).

وإذن فلا مبرر يعتمد عليه لنفي السجع عن القرآن في هذه الأدلة . وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لفريق الباقلاني فما هي - يا ترى - أقوى أدلة من يستحسن السجع ويقول بوجوده في القرآن ؟

الأراء المعارضة لموقف الباقلاني:

يرى أبو هلال العسكري (ت/ ٣٩٦ هـ) في كتابه الصناعتين بأنه لا يحسن منشور الكلام ولا يخلو حتى يكون مزدوجاً . ولو استغنى كلام بليغ عن السجع والازدواج لكان القرآن . فقد كثر الازدواج - الذي هو عنده نوع من السجع - في القرآن حتى حصل في أوساطه ، فضلاً عما تزواج من الفواصل فيه (٧٧).
ويؤكد العسكري قوله بوجود السجع في القرآن بقوله : «جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى وصفاء اللفظ وتضمن الطلاوة والماء لما يجري مجراه من كلام الخلق» (٧٨) . ويدعم هذا القول بإيراد آيات مسجوعة كثيرة . ثم يتطرق إلى السجع في أقوال النبي ﷺ وأحاديثه مبيناً أن حديث «أسجعاً كسجع الكهان» غير مقصود به النهي عن السجع مطلقاً

وإنما المقصود هو النهي عن السجع المشابه لسجع الكهان في تكلفه وتعسفه . ودليل ذلك ما ورد من السجع في أحاديثه وكلامه . ويورد العسكري أحاديث للنبي كثيرة وقع فيها السجع لينتهي إلى القول بأن ما ذكره يؤذن بفضيلة السجع الخالي من التكلف والتعسف ، بل ليقصر أن السجع «إذا سلم من التكلف وبرئ من التعسف لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه» (٧٩).

أما عبد الله بن سنان الخفاجي فيشير إلى انقسام الناس حول السجع بين كاره له ، مقلد من شأنه ، ومستسحق له ، قاصد إليه ، ويذكر أسماء من كانوا يميلون إليه ، ومن كانوا يحيدون عنه أو لا يتكلفونه من الكتاب والأدباء ، ثم يصرح برأيه هو فيه قائلا : «والمذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلا متيسرا بلا كلفة ولا مشقة ، وبحيث يظهر أنه لم يُقصد في نفسه ، ولا أحضره إلا صدق معناه دون موافقة لفظه ، ولا يكون الكلام الذي قبله إنما يتخيل لأجله ، وورد ليصير وصلة إليه» (٨٠) . ويرى ابن سنان أن من بواعث أو دلائل استحسانه حسن ما ورد في كتاب الله وفي كلام النبي ﷺ وأقوال الفصحاء من العرب .

ويقارن ابن سنان أيضا بين السجع والفواصل راداً على الرماني على نحو ما ذكرنا متنبها إلى أن من الفواصل ما هو سجع خالص ورد الكثير منه في القرآن ، ثم يستشهد على ما ورد من السجع والفواصل في القرآن الكريم ، كما يورد عدداً من الأمثلة من أحاديث الرسول ﷺ وأقوال بعض البلغاء مما ورد فيها السجع مقصودا وتابعا للمعاني غير مستكره (٨١).

وينكر ابن الأثير (ت/ ٦٣٧ هـ) - وهو ممن أطلوا في الحديث عن السجع وعن قضية نفيه عن القرآن - ينكر على من ذم السجع ونفاه عن القرآن بقوله : وقد ذمه [يعني السجع] بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ، ولا أرى

لذلك وجها سوى عجزهم عن أن يأتوا به ، وإلا فلو كان مذموما لما ورد في القرآن الكريم فإنه أتى منه بالكثير، حتى أنه ليؤتى بالسورة جميعا مسجوعة، كسورة الرحمن، وسورة القمر، وغيرهما. وبالجملية فلم تخل منه سورة من السور. (٨٢). ويدعم ابن الأثير موقفه بذكر أمثلة كثيرة من آيات القرآن الكريم المسجوعة ثم يتبعها بشواهد مماثلة من أحاديث الرسول ﷺ. ويطيل في الاستشهاد والتعليق فيشير إلى حديث النهي عن السجع قائلا: إن هذا الحديث - على فرض صحته - لا يتضمن ذم السجع على إطلاقه، إذ النهي فيه «لم يكن عن السجع نفسه، وإنما النهي عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع» (٨٣). فالمنهي عنه في الحقيقة هو الحكم المتبوع في قول الكاهن، وإلا فالسجع الذي أتى به الرجل لا بأس به. وهكذا ينتهي ابن الأثير إلى أن السجع مميزة بلاغية من ميزات القرآن الكريم. وأن السجع في الكلام «إذا كان محمولا على الطبع، غير متكلف فإنه يحمى في غاية الحسن، وهو أعلى درجات الكلام، وإذا تهاى للكاتب أن يأتي به في كتابته كلها على هذه الشريطة فإنه يكون قد ملك رقاب الكلم، يستعبد كرائمها، ويستولد عقائمه وفي ذلك فليتنافس» (٨٤).

ويذهب أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني (ت/ ٦٨٤ هـ) إلى أن السجع زينة للكلام وأنه قد يدعو إلى التكلف، لذلك يجب ألا يستعمل في جملة الكلام وأن لا يخلو الكلام منه بالجملية، فإذا جاء عفوا قبلته النفس وأقبل عليه الخاطر. ويصرح بأن هذا ليس رأيه هو فحسب وإنما رأي أبي الفرج قدامة أيضا. وينكر حازم - كابن الأثير - على من يعيب السجع مؤكدا وجوده في القرآن فيقول: «وكيف يعاب السجع على الإطلاق وإنما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب؟ فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود

الأسجاع في كلام العرب، وإنما لم ينجح على أسلوب واحد، لأنه لا يحسن في الكلام جميعاً أن يكون مستمراً على نمط واحد، لما فيه من التكلف، ولما في الطبع من الملل عنه. ولأن الافتنان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد، فلهذا وردت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع، وبعضها غير متماثلة^(٨٥).

أما يحيى بن حمزة العلوي (ت/ ٧٤٩ هـ) فيشير إلى الاختلاف حول السجع في القرآن معتقداً بأن غالبية علماء البيان تقول بجوازه، بل بحسنه وجماله لكثرة وروده في كتاب الله وحديث الرسول ﷺ وكلام علي بن أبي طالب وكل بلغاء العرب وخطبائهم. وأنه «لا يكاد بليغ من البلغاء يرتجل خطبة ولا يحرر موعظة إلا ويكون أكثره مبني على التسجيع في أكثره، وفي هذا دلالة قاطعة على كونه مقولاً مستعملاً في السنة الفصحاء في المقامات المشهورة والمحافل المعهودة»^(٨٦). ويعلق العلوي على حديث إنكار الرسول ﷺ على من استخدم السجع بقوله إن الرسول «إنما أنكر سجعاً مخصوصاً هو سجع الكهان... فلا يمكن ترك هذا الأسلوب من الكلام لقصة عارضة من جهة الرسول يمكن حملها على وجه لا تق»^(٨٧).

هذا وقد تطرق الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) قبل هؤلاء جميعاً إلى موضوع السجع وأيد القائلين بحسنه وبلاغته وأشار إلى حديث نبي النبي فيه قائلاً: إن الذي كرهه الأسجاع بعينها أن كهّان العرب كانوا يتكهنون ويحكمون بها فنهى الرسول عنها «لقرب العهد بالجاهلية ولبقيتها فيهم وفي صدور كثير منهم فلما زالت العلة زال التحريم. وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فيكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة، فلا يهنونهم»^(٨٨). ويقول أيضاً على لسان عبد الصمد بن الفضل معلقاً على إنكار الرسول على من تكلم

بالسجع: «لو أن هذا المتكلم لم يرد إلا الإقامة لهذا الوزن، لما كان عليه بأس، ولكنه عسى أن أراد إبطال حق فتشادق في الكلام»^(٨٩). بل يروى أن بعضهم استغرب أو استنكر أن يكون الرسول ﷺ قد حرم السجع مع أنه حلل الشعر واستحسنه وشجع عليه^{٩٠}. فالنهي إذن لم يكن في واقعه عن السجع نفسه وإنما كان عن السجع الذي يشبه سجع الكهان، ولو أراد النهي عن السجع مطلقا لقال: أسجعاً؟ وسكت.

إضافة إلى كل ذلك فإن هناك أقوالاً أخرى أيدت وجود السجع في القرآن ذكرها الزركشي في كتابه البرهان^(٩١).

يتلخص من جميع أقوال خصوم الباقلاني المؤمنين بوجود السجع في القرآن الأمور التالية:

١ - إن السجع والازدواج موجود وكثير في القرآن ويعد من خصائصه وميزاته البلاغية، وإن سجع القرآن يتميز عن أسجاع العرب بانسجامه وصفائه وخلوه من التكلف والتعسف.

٢ - إن النبي ﷺ لم ينه في الحقيقة عن السجع على إطلاقه وإنما نهى عن السجع المشابه لسجع الكهان في تكلفه والتعسف والتشادق فيه أو فيما يتضمن من معان، كما أن النهي كان في بداية الدعوة وربما خيف أن يتأثر الناس بجمالية أسلوب كان وسيلة للكهان في الجاهلية وأداتهم لبث معتقداتهم الوثنية، وبعد مضي الزمن وبعد العهد بالجاهلية زال الخوف ولم تعد هناك حاجة للنهي. ودليل ذلك ظاهر في قول الرسول نفسه، ثم وجود السجع في كثير من أحاديثه وكلامه.

لقد ذكر أكثر من واحد من الباحثين القدامى أن النبي ﷺ كان يقصد أحيانا إلى السجع لجعل كلامه أكثر حلاوة وتأثيرا، فقد ورد أنه قال في

دعائه لابن ابتته عليهما السلام «أعيذه من الهامة والسامة، وكل عين لامة» وإنما أراد ملمة، لأن الأصل فيها من (ألم) فهو (ملم). وأنه قال: «ارجعن مأزورات غير مأجورات». وإنما أراد (موزورات) من (السوزر) فقال «مأزورات» لمكان «مأجورات» طلبا للتوازن والسجع مما يدل على استحسانه للسجع^(٩٢).

٣- إن الخطباء كانوا يتكلمون عند الخلفاء الراشدين بكلام فيه سجع كثير ولم ينكر أحد من الخلفاء عليهم. ولو كان مذموما لأنكروا على من استخدمه.

٤- إن السجع قد ورد في كلام بعض الخلفاء وخطبهم وأكثر ذلك وضوحا ظهوره في الخطب التي ثبتت نسبتها بالتواتر للخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

مناقشة أدلة الباقلاني:

من خلال هذه الأقوال ومن كثرة تواترها وقربها إلى الواقع المعقول نستطيع الحكم برجحان أدلة خصوم الباقلاني، ولكن يجدر بنا قبل الإقرار والقطع بتهم صحتها أن نناقش آراء الباقلاني نفسه لنرى مدى واقعيته وقربها من المنطق، لكون الباقلاني أشد إصرارا وأكثر معارضة لخصومه.

لقد كانت حجة الباقلاني الأولى أن القرآن لو كان سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلام العرب. وفكرة مخالفة القرآن لمألوف كلام العرب هذه لم يتفرد بها الباقلاني كما سبقت الإشارة، فقد أيدته الأشاعرة من قومه، كما سبقه إليها الجاحظ وأبو الحسن الرماني أيضاً^(٩٣). والذي دفع هؤلاء جميعهم إلى القول بهذا الرأي هو توهمهم من أن اختلاف القرآن في شكله وقالبه عن كلام

العرب يقتضي التفوق، علماً بأن هذا توهم غير صائب، إذ إن المخالفة في الشكل وال قالب عن مألوف الكلام أو التجديد في الأسلوب لا يقتضي لذاته تفضيلاً ولا يكسب الكلام صفة البلاغة فضلاً عن الإعجاز. إذ لو كان ذلك ممكناً لكان أسلوب المقامات - وهو أسلوب لم يكن مألوفاً لدى العرب من قبل - أفضل من أساليب الكلام التي سبقتها، ولأصبح لكاتبها المسرحيات في العصر الحديث أن يزعموا لأنفسهم الإعجاز لأنهم جاءوا بأسلوب جديد وصورة جديدة من صور الأداء الفني لم تكن معتادة من قبل. وهكذا بالنسبة لكل ما استحدث من أساليب الكتابة أو الكلام عامة، بل كان - كما يقول القاضي عبد الجبار الذي كان معاصراً للباقلي - «كان يجب لو أتى بعضهم بطريقة من النظم ركيكة لم يسبق إليها أن يكون معجزاً»^(٩٤). ولو اقتضى الإعجاز أن يكون القرآن مخالفاً في أساليبه لأساليب العرب في الكلام للزم أن يستخدم لغة غير لغتهم أو تراكيب وألفاظ غير التي كانوا يستخدمون ويتداولون في كلامهم، وذلك لم يحصل. فالصحيح إذن هو ما ذهب إليه القاضي عبد الجبار (ت/ ٤١٥ هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت/ ٤٧١ هـ) وكثيرون غيرها من الأدباء والنقاد المتقدمين والمعاصرين من أن القرآن خرج عن المعتاد والمألوف من كلام العرب لا من حيث الشكل وال قالب واللغة، وإنما من حيث البلاغة والفصاحة وجمال النظم وسمو المعنى وفنية الأداء وجمال الصياغة وبلاغة القول وقوة التركيب وحلاوة الألفاظ وسحر اللغة، إلى جانب روعة المعنى وقوة تأثيره وأمور أخرى كثيرة تطرق إلى التفصيل فيها من بحث في أسباب الإعجاز^(٩٥).

وحجة الباقلي الثانية هي أنه لو كان القرآن سجعاً لصح أن يقال هو سجع معجز وبالمثل يقال هو شعر معجز^(٩٦) وهذه حجة غريبة واهية

أيضا، إذ لا علاقة بين السجع والشعر هنا، فقد أطلق السجع على كل ما انطبق عليه تعريف السجع من آيات القرآن ولم يقل فيه شعر لأنه لم يقصد بأن يكون شعراً أصلاً ولم يكن هناك ما يصح إطلاق الشعر عليه إطلاقاً كاملاً. والقول بوجود السجع لا يستلزم القول بوجود الشعر أبداً. أما قوله بأن القرآن يجب أن ينزه عن السجع لكون السجع من أساليب الكهان ولأن الكهانة تنافي النبوات^(٩٧) فدليل يعوزه المنطق أيضاً وذلك للأمور التالية:

- ١ - إن السجع لم يكن مقصوراً على الكهان وحدهم وإنما هو أسلوب ألفه خطباء العرب وفصحائهم وقضاتهم كما اعتاده الكهان.
- ٢ - إن سجع القرآن يختلف عن سجع الكهان تمام الاختلاف في الشكل والمضمون ويتميز عنه بخلوه من التكلف والتعسف والثقل.
- ٣ - لو لزم نفيه عن القرآن لكونه من أساليب الكهان ولأن الكهانة تنافي النبوات لوجب أيضاً نفي كل ما ألفه العرب من أساليب القول لأن الكفار والمشركين قد ألفوها، والكفر والإلحاد والإشراك كلها أمور تنافي النبوات، بل لزمنا أيضاً إنكار نزوله بلغتهم. فالعربية كانت وسيلة الكهان في التعبير والحكم، وهذا محال طبعاً فالقرآن نزل بلغة العرب وبأساليبهم.
- ٤ - يُذم الشيء ويستقبح عادة لسوء فيه لا لسوء من استخدمه وسلكه فلو كان يذم وينهى عن الشيء لسوء من اتبعه لما أقر الإسلام طقوساً في الحج وغيره كان معمولاً بها في الجاهلية بينما أنكر كثيراً غيرها. ولو كان يذم الشيء ويستقبح أيضاً لسوء من استخدمه لذم واستقبح الشعر لأن الكفار والمشركين استخدموا الشعر في أغراض شتى. بل لذمت

العربية والفاظها لأنها كانت وسيلة الاتصال بينهم في حياتهم . . .
وأما زعم الباقلاني بأن الرسول قد نهى عن السجع فقد اتضح بطلانه .
فقد ذكرنا ما ذهب إليه أكثر النقاد والباحثين المسلمين من أن الرسول لم ينه
عن السجع نفسه وإنما نهى عما شابه سجع الكهان في تكلفه وتعسفه أو في
حكمه . وأنه لو أراد النهي عن السجع مطلقا لقال (أسجعا؟!) وسكت .
ثم إنه ليس من المنطق أن ينهى الرسول عن قول السجع وفي أحاديثه وخطبه
وكلامه شيء كثير منه . كما ذكر لنا الجاحظ وأبو هلال العسكري وابن الأثير
والعلوي وغيرهم ممن ذكرناهم آنفا .

وفيما يتعلق بظن الباقلاني وتوهمه في أن السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذي
يؤدي إلى السجع وما يترتب على ذلك من تنزيه القرآن عنه لكون اللفظ في
القرآن تابعا للمعنى ، فقد أثبتنا عدم صحة هذا الظن عند ردنا على الرّماني
الذي سبق الباقلاني بهذا القول . لقد قلنا إن هناك سجعا يتبع المعنى فيه
اللفظ وهو نوع ركيك مذموم لا يصدر في العادة إلا في كلام ضعفاء التعبير أو
غير البلغاء من الناس ، وهناك سجع آخر يقع فيه اللفظ موقعه الرائع وهو
مع ذلك تابع للمعنى ، وهذا هو الذي عرفناه في أقوال وخطب الفصحاء من
العرب وجاء في أحاديث الرسول وآيات القرآن الكريم على أنهم نسق وأجل
شكل ، ولكن الظاهر أن عصبية الباقلاني لرأيه جعلته بعيدا عن التفرقة بين
الحسن والردئي من السجع .

ويزيد الباقلاني في إبداء إمامه المحدود بأنواع السجع وصوره حينها يورد
تعريفا خاصا محددًا للسجع لتطبيقه على القرآن ، محاولا إخراج سجع القرآن
ونفيه لعدم انطباق تعريفه المفترض عليه . فهو يورد تعريفا ضعيفا يفترض
السجع فيه أن يكون متساوي الفقرات ، متقارب الفواصل ، متداني المقاطع ،

متماثل الوزن في كل مقاطع فصوله ، أما إذا اختلفت مقاطعه في الوزن أو الصوت (القافية) أو تباعدت الفقرات أو الفواصل عن بعضها أو فصلت فلا يعد ذلك عنده من السجع في شيء^(٩٨) ، وهذه الشروط يخرج الباقلاني أكثر ما يعد سجعا في القرآن . ولا يبقى غير قليل منه ، يخرج أيضا عن كونه سجعا لأنه جاء غير مقصود إليه .

ومن الواضح أن تعريف الباقلاني السابق الذكر لا يدل في الواقع إلا على جهله لحقيقة السجع أو تجاهله لها بغية الوصول إلى هدفه ؛ حيث إن السجع أوسع بابا وأرحب معنى وأكثر صورا وأنوعا من أن يحصر في تمام التماثل في الوزن أو القافية ، فغالب التعريفات للسجع كما تبين فيما سبق توحى باتساع مدلوله ليشمل صورا كثيرة ، منها ما تتفق مقاطعه في الوزن دون القافية ، ومنها ما تتفق في القافية دون الوزن ، ومنها ما تتفق في الوزن والقافية معا . ولم يشترط في السجع أن يتقيد بالطول أو بالقصر في مقاطعه وفقراته أو التماثل التام في قوافيه . وسجع القرآن يسير وفق التعريفات التي وضعها النقاد فلم يتقيد تقيدا تاما بوزن أو قافية معينة في آياته المسجوعة ، فقد ينتقل من وزن إلى آخر ومن قافية إلى قافية أخرى مغايرة في توافق وانسجام ، سعيا وراء الأداء الفني المؤثر والإيقاع المتناسق الذي تأنسه القلوب وتستلذه الأسماع وتبعا للموقف والمعنى المناسب .^(٩٩) على أنه من الخطأ - كما يقول الدكتور زكي مبارك أن يحاكم القرآن إلى قواعد وضعها المتأخرون . إذ الأولى أن يعتبر القرآن هو الأساس « وخروج القرآن على السجع من حين إلى حين من دلائل سلامته وبلاغته ؛ لأن التزام السجع باب إلى الغلو والإغراق ، ولم يقبح السجع على ألسنة المتأخرين إلا لأنهم التزموا به ما لا يلزم في التزيين والتجميل ، والذين قالوا بوجود السجع في القرآن لم يفرضوا التزامه في جميع الأحوال وإلا وقعوا في

الكلمتين على الأخرى؛ إذا أي فارق في المعنى ينشأ من هذا التأخير والتقديم وأي إعجاز؟. إضافة إلى ذلك فإن العطف بالواو في الآية الكريمة تجعل المتقدم مساوياً للمتأخر لغة ومعنى، وإذن فليس هناك مبرر لهذا التقديم والتأخير سوى مراعاة السجع وتحقيق التوافق في مقاطع الآيات للوصول إلى الإيقاع الفني والجرس الجميل المؤثر كما حصل ذلك في آيات كثيرة من القرآن^(١٠٣).

يقر الباقلائي بأن السجع كان مألوف الاستخدام لدى بلغاء العرب وفصحائهم ويذكر من الجنس المعتاد عندهم قول أبي طالب لسيف بن ذي يزن: «أنبئك منبتا طابت أرومته، وعزت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعه، ونبت زرعه، في أكرم موطن، وأطيب معدن»^(١٠٤)، وهذا في الحقيقة من السجع الذي يتبع اللفظ فيه المعنى، وهو مماثل في شكله لقوله تعالى: ﴿والعاديات ضبحا﴾ فالموريات قدحا﴾ فالمغيرات صبحا﴾ فأنرنا به نقعا﴾ فوسطن به جمعا﴾^(١٠٥)، وقوله تعالى: ﴿فأما البتيم فلا تقهر﴾ وأما السائل فلا تنهر﴾^(١٠٦) فجميعه من السجع القصير الذي يتساوى فيه الفصلان، وإن تميزت آيات القرآن بروعتها وسمو معانيها وجمال مبناها وقيمتها الفنية وعظمتها.

وأخيراً فإن الباقلائي الذي ينفي السجع عن القرآن يشبهه ويقر بوجوده من حيث لا يشعر؛ فهو يؤمن بوجود الترصيع في القرآن ويضرب الأمثلة بآيات كثيرة بوردها^(١٠٧). مع أن الترصيع لون من ألوان البديع ونوع من أنواع السجع أو شبيه منه في اصطلاح كثير من علماء البلاغة ومعظم النقاد^(١٠٨).



ويتلخص من كل ما تقدم الأمور التالية :

١ - أن السجع أسلوب من أساليب الكلام أجمع عدد كبير من علماء البلاغة والنقاد القدامى على حسنه وروعته إذا خلا من التكلف والثقل . كما أجمعوا على كونه من المحسنات البلاغية التي كان يقصدها الخطباء والبلغاء لتزيين كلامهم وتوشية خطبهم سواء في الجاهلية أم بعد مجيء الإسلام .

٢ - أن تكلف السجع والمبالغة في الاهتمام به والإفراط في التزامه كان ظاهرة بلاغية ولغوية برزت مع ظهور موجة التصنع والتصنيع في النثر العربي خلال القرن الرابع الهجري ، واستمرت فترة طويلة من الزمن ، وقد كان لبروزها آثار إيجابية في إظهار شاعرية اللغة العربية وتفجير العديد من الطاقات الكامنة فيها وإنعاش طائفة كبيرة من مفرداتها وتراكيبها ، كما كانت لها آثار سلبية في تجميد جانب من الفكر العربي وتبليد طاقات طائفة من الكتاب وإضعاف سلاقتهم وإبعادهم عن أصالة اللغة ، ثم في إبراز جانب من التراث الأدبي العربي على أنه نتاج سطحي وهو لفظي عابث .

٣ - السجع موجود في كثير من أحاديث الرسول ﷺ وخطبه ، وهو سجع عفوي لا تصنع فيه ، وهذا دليل على استحسان الرسول الكريم ﷺ للسجع واهتمامه به .

٤ - أن نهى الرسول ﷺ عن السجع إن صح وثبتت نسبة لم يكن مقصوداً به النهي عن السجع مطلقاً ، وإنما كان النهي فيه عن السجع المشابه

- في تكلفه وتعسفه وغرابة كلماته أو في حكمه لسجع الكهان .
- ٥ - لم يرد أن أحدا من الخلفاء قد نهى صراحة أو ضمنا عن قول السجع أو أظهر كراهيته لاستخدامه ، هذا بالإضافة إلى أنه موجود في العديد من خطبهم وفي كلامهم .
- ٦ - أن قواعد السجع وأصوله تنطبق على كثير مما في القرآن من آيات لذا فلا مناص من القول بوجوده في القرآن .
- ٧ - السجع الموجود في القرآن يختلف في صياغته وروعته وإحكامه وصفائه وعفويته وحسن ألفاظه عن سجع الكهان وعن بقية أسجاع العرب ، بل يفوقها كلها في شكله ومضمونه .
- ٨ - القول بوجود السجع في القرآن لا يتنافى مع القول بإعجازه إذا علم أن السجع الموجود فيه هو جزء من إعجازه لأن العرب لم يستطيعوا أن يأتوا بسجع مثله مع اعتيادهم على قوله وألفتهم له . فهم عجزوا عن معارضة سجعه كما عجزوا عن تحقيق كثير من أسباب الإعجاز في آياته فتركوا ذلك .
- ٩ - كل سجع القرآن لم يخرج عن الأصول والشروط التي وضعها النقاد ورجال البلاغة للسجع الجيد . كما أن كل ألفاظه تابعة لمعانيه ولا سبيل مطلقا إلى القول بوقوع الخطب في أساليبه والخروج عن القواعد فيه .
- ١٠ - أن السذي دفع الباقلاني إلى الإصرار والتأكيد على نفي السجع في القرآن ربما يكون توهمه بأن الرسول قد نهى عنه عموما ، وأنه لا يمكن مع هذا النهي تصوره في القرآن . وقد يكون ذلك بسبب قصور الباقلاني نفسه عن معرفة أصول السجع وقواعده وأنواعه وشروطه . أما مؤيدو الباقلاني فهم قلة بالقياس إلى معارضيه ، وأقوالهم يسودها

الاتباع والتقليد وتنقصها الأدلة القوية والحجج المقنعة .

مع ما سبق ذكره من تفسيرات لموقف الباقلاني السلبى تجاه فن السجع ومحاولة نفي هذا الفن عن القرآن فإن ما يسيده الباقلاني من إصرار على موقفه ربما يعود إلى موقف نفسي شخصي تسبب في إيجاد ذلك الإفراط في استخدام السجع وتكلفه والتشادق فيه . فقد رأينا فيما سبق أن عدداً من النقاد والكتّاب والأدباء ضاق ذرعاً بذلك الإفراط في تكلف السجع وذلك التصنع اللفظي الذي شاع في القرن الرابع الهجري القرن الذي عاش فيه الباقلاني على وجه الخصوص ، ولا يبعد أن يكون الباقلاني واحداً من أولئك الذين سئموا تلك المغالاة ، وضاقوا بذلك السجع الممجوج الذي أفرزته تلك السلائق السقيمة والقرائح التي أثرت فيها العجمة أو عكرتها نزعة التصنع فتولدت لديهم ردود فعل ماقنة للتسجيع رافضة للسجع مستصغرة لشأنه منزهة كتاب الله عنه .

وقد تكون شدة إصرار الباقلاني على نفي السجع عن القرآن نوعاً من التعصب لأراء قومه الأشاعرة ولأراء شيخهم أبي الحسن الأشعري خصوصاً ، فقد صرح الباقلاني نفسه بقوله : «ذهب أصحابنا كلهم إلى نفي السجع من القرآن ، وذكره الشيخ أبو الحسن الأشعري في غير موضع من كتبه .» (١٠٩) ، كما عرف عن الباقلاني حبه للجدل وشدة تقيده بمذهب الأشعري وتمسكه بأقواله وآرائه عامة والتعصب لها والمنافحة عنها وتمحل الأسباب لتبريرها . يقول الشيخ محمد أبو زهرة :

«إن الباقلاني كان في العقيدة أشعري المذهب متحمساً له ، دافع ونافع ، وقد دفعه تحمسه لأن يحمل الناس على المقدمات العقلية التي ساق الأشعري بها أدلته ، لإثبات مذهبه ، ولم يرد أن يخالفوها ، فهو لم يتحمس فقط

للتناج، بل تحمس أيضا لسياق الأدلة ومقدماتها، وإن ذلك بلا ريب إفراط في التعصب المذهبي، فإنه قد يكون الناس مقيدون بالنتيجة، ولكن لا يصح التقييد بنوع معين من أدلتها. «(١١٠)». وإذا كان أساطين الكتاب وأئمة البلاغة السجاعين أو مردي فن السجع ورجاله في عصر الباقلاني هم من المعتزلة من أمثال الصاحب بن عباد أو من غير المسلمين مثل أبي إسحاق الصائغ، فإن مناهضة هذا الفن أو الجدل حوله يكون أكثر إغراء، والسعي لتنزيه القرآن عنه يصبح أكثر ضرورة عند الباقلاني وأمثاله.

...

الهوامش

- ١ - انظر على سبيل المثال: زكي مبارك، الشر الفني في القرن الرابع (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٣٤ م)، ج ٢، ص ٧٧ - ٨١؛ عبد الرؤوف مخلوف، الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٢)، ص ٩٠٢ - ٢٥٧؛ محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي: دراسة تحليلية لتراث أهل العلم (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م)، ١٩٥ - ٢٠٣.
- ٢ - ضياء الدين بن الأثير (نصر الله بن محمد)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، د. ت)، ج ١، ص ٢١٠.
- ٣ - يحيى بن حمزة بن علي العلوي اليمني، كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م)، ج ٣، ص ١٨.
- ٤ - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) ج ١ ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

- ٥ - ابن الأثير، المثل السائر، ج ١، ص ٢٥٧-٢٥٨. انظر أيضاً: د. محمد...
 - ٦ - سورة المدثر، الآيات ١-٥.
 - ٧ - سورة النجم، الآيات ١-٣.
 - ٨ - سورة القمر، الأيتان ١-٢، انظر الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ط ٦، شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٥ م / ١٤٠٥ هـ)، ص ٥٤٩.
 - ٩ - سورة نوح، آية ١٣.
 - ١٠ - القزويني، الإيضاح، ص ٥٤٧.
 - ١١ - انظر يحيى العلوي، كتاب الطراز، ج ٣، ص ٢٣-٢٧؛ تقى الدين علي بن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شعبتو (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٧ م)، ج ٢، ص ٤١١-٤٣٠.
 - ١٢ - يحيى العلوي، كتاب الطراز، ج ٣، ص ٢١-٢٣.
 - ١٣ - زكي مبارك، النشر الفني في القرن الرابع، ج ١، ص ٦٥.
 - ١٤ - انظر:
- Princeton Encyclopedia Of Poetry And Poetics, Enlarged edition, Ed. Alex Preminger, (Princeton: Princeton University Press., 1974), "Consonance" P. 152; "Rhyme Counterpoint", p. 710.
- ١٥ - رينيه ويليك وأستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي ومراجعة د. حسام الخطيب ط ٢، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١ م)، ص ١٧٢.
 - ١٦ - انظر في ذلك محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية: دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٠ م)، ص ٢٨٢-٢٨٤.
 - ١٧ - انظر عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٥ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م)، ج ١، ص ص ٢٩٧-٣٠٢، ٢٨٧-٢٩٠. يورد الجاحظ عددا كبيرا من الأمثال والأقوال المسجوعة المأثورة عن العصر الجاهلي والعصر الإسلامي معا.

- ١٨ - فريثس كرنكو، «السجع»، دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية (بيروت: دار المعرفة، د. ت)، مج ١١، ص ٢٩٥.
- ١٩ - طه حسين، في الأدب الجاهلي. القاهرة: دار المعارف، ١٩٢٧ م)، ص ٣٣٠.
- ٢٠ - عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٩٠. انظر كذلك ص ٣٠١.
- ٢١ - راجع زكي مبارك، النثر الفني، ج ١ ص ٦٧ - ٧٠.
- ٢٢ - الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١ ص ٢٩٠ - ٢٩١، ٢٩٨ - ٣٠٢؛ زكي مبارك، النثر الفني، ج ١ ص ٧١ - ٩١. ممن اشتهر باهتمامه بالسجع الفضل بن عيسى ابن إبان الرقاشي الواعظ البصري المعتزلي، وكان سجاعا في قصصه كما كان ولده عبد الصمد خطيبا قصاصا سجاعا كما يقول عنه الجاحظ، انظر ص ١١٩، ٢٩٠.
- ٢٣ - الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١ ص ٢٨٧.
- ٢٤ - آدم متسر، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، ط ٤ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧)، ج ١، ص ٤٤٤.
- ٢٥ - انظر هاملتون جب، دراسات في الأدب العربي (دمشق: المركز العربي للكتاب. د. ت)، ص ١٨؛ لقد أورد الدكتور زكي مبارك شواهد وأدلة تؤيد ما ذكرناه، راجع النثر الفني في القرن الرابع، ج ١، ص ٦٤ - ٩٤.
- ٢٦ - شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط ٦ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١ م)، ص ١٩٤ - ١٩٧.
- ٢٧ - شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، ص ١٩٨.
- ٢٨ - انظر عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٩ م)، ص ١٦٧.
- ٢٩ - شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ١٩٩؛ انظر كذلك ص ٢٠١. آدم متسر، الحضارة الإسلامية، ص ٤٤٥.
- ٣٠ - عبد الملك بن محمد الثعالبي (أبو منصور)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر،

- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٧٧ هـ)، ج ٢، ص ١٥٩.
- ٣١- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ٢٢١.
- ٣٢- انظر ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء (القاهرة: طبعة مرجليوث، ١٩٠٧-١٩٢٥. ج ٢ ص ٢٧٣.
- ٣٣- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ٢٣٦.
- ٣٤- أبو بكر الخوارزمي، رسائل الخوارزمي، ص ٣٤، نقلا عن شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ٢٧.
- ٣٥- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ٢٢٧.
- ٣٦- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه ص ٢٢٩.
- ٣٧- ياقوت الحموي، إرشاد الأريب، ج ٦، ص ٢٠٧.
- ٣٨- ياقوت الحموي، إرشاد الأريب، ج ٦، ص ٢٢٠.
- ٣٩- لقد ذكر حسين بن محمد الراغب الأصبهاني بعض «من ارتكب أمرا طلبا للسمع»، انظر محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (بيروت: دار الحياة، د. ت)، ج ١، ص ٦٢.
- ٤٠- انظر شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، ص ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٥٦-٢٥٧، ومصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمداني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، مع دراسة لحركة الأدب العربي في العراق العجمي وما وراء النهر (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م)، ص ٢٧٢-٢٧٣.
- ٤١- مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمداني، ص ٢٧٢.
- ٤٢- حسين مؤنس، «أجيالنا الماضية أمام مشكلة أسماء الكتب»، العربي، ع ٧٠ / ربيع الثاني ١٣٨٤ هـ- سبتمبر ١٩٦٤ م، ص ٦٦-٧٣.
- ٤٣- علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: المكتبة الإسلامية د. ت)، ج ٤، ص ٣١٣-٣١٤.
- ٤٤- ابن الأثير، المثل السائر، ج ٢، ص ٦٣.

- ٤٥ - محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٢ (لندن: بريل، ١٩٠٦)، ص ٥.
- ٤٦ - آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص ٤٤٧.
- ٤٧ - حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ط ٢ (القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٦٨ م)، ج ٢، ٤٨٦.
- ٤٨ - حسين نصار، المعجم العربي، ج ١، ص ١٩٨.
- ٤٩ - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م)، ج ١، ص ٣٣.
- ٥٠ - فريتش كرنكو، «السجع»، دائرة المعارف الإسلامية، مج ١١، ص ٢٩٧.
- ٥١ - لقد نحا عدد قليل من الكتاب في بدايات هذا العصر إلى استخدام السجع وظهرت بعض المؤلفات أبدى فيها أصحابها نزعتهم لإحياء ظاهرة استخدام السجع وميلهم إلى التصنيع وإظهار البراعات اللغوية ومحاكاة الهمذاني والحريري في ما ألفاه من مقامات مثل: كتاب «مجمع البحرين» للشيخ ناصف اليازجي (ت ١٨٧١ م)، وكتاب «الساق على الساق» لأحمد فارس الشدياق (ت ١٨٨٧ م)، و«حديث عيسى بن هشام» لمحمد بن إبراهيم المويلحي (١٩٣٠ م) ولم يكن لهذه الأعمال تأثير يذكر على الاتجاهات النثرية الحديثة.
- ٥٢ - ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧١ م)، ج ٤، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.
- ٥٣ - انظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، (القاهرة، ١٣٤٩ هـ)، ج ٥، ص ٣٧٩. الصفدي، الوافي بالوفيات (استانبول، ١٩٣١ م)، ج ٣، ص ١٧٧.
- ٥٤ - انظر عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ٣٨٣؛ كذلك انظر شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ط ٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥ م)، ص ١٠٨ - ١٠٩.
- ٥٥ - نقل بتصريف عن الباقلاقي، محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٤ م)، ص ٥٧.
- ٥٦ - أبو بكر الباقلاقي، إعجاز القرآن، ص ٥٧ - ٥٨.

- ٥٧ - أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ٥٨.
- ٥٨ - أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ٥٨-٥٩.
- ٥٩ - أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ٥٩.
- ٦٠ - أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ٦٤.
- ٦١ - أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن ص ٦٠. انظر كذلك ص ٦٤.
- ٦٢ - أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ٦٥.
- ٦٣ - أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٥) ج ١، ص ٤٤٦ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٩٥٧)، ج ١، ص ٦٣.
- ٦٤ - أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، سلسلة ذخائر العرب رقم (١٦)، تحقيق محمد خلف الله أحمد ود. محمد زغلول سلام، ط ٤ (القاهرة: دار المعارف ١٩٩١ م)، ص ٩٨.
- ٦٥ - مسعود بن عمر، التفتازاني، شروح التلخيص (القاهرة: بولاق، ١٣١٨ هـ)، ج ٤، ص ٤٥١.
- ٦٦ - المصدر السابق، ص ٤٥٢.
- ٦٧ - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط ٣، (بيروت دار القلم، د. ت)، ج ١، ص ٢٧١.
- ٦٨ - بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص ٥٣-٥٤.
- ٦٩ - بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص ٥٤.
- ٧٠ - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص ٢٨٧.
- ٧١ - ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٦٥.
- ٧٢ - ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٦٦.
- ٧٣ - لمزيد من التفصيل حول الصلة بين الفواصل والسجع انظر: أحمد الحوفي، «سجع أم فواصل»، مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة، ج ٢٧ (١٩٧١)، ص ١١٤-١٢٨؛ عبد الرحمن تاج، «السجع وتناسب الفواصل وما يكون بين

- ذلك في القرآن». مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة، ج ٣٦ (١٩٧٥)، ص ٢٠-٣٩.
- ٧٤- الإمام فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز، تحقيق د. بكري الشيخ أمين (بيروت دار العلم للملايين ١٩٨٥ م)، ص ١٤٣.
- ٧٥- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٢٧١.
- ٧٦- الغزالي، إحياء علوم الدين ج ١، ص ٢٧٢.
- ٧٧- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص ٢٨٥.
- ٧٨- أبو هلال العسكري، الصناعتين، نفس الصفحة.
- ٧٩- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص ٢٨٦.
- ٨٠- عبد الله بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٦٤.
- ٨١- انظر الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٦٥-١٧١.
- ٨٢- ابن الأثير، المثل السائر ج ١، ص ٢١٠.
- ٨٣- ابن الأثير، المثل السائر ج ١، ص ٢١٢.
- ٨٤- ابن الأثير، المثل السائر ج ١، ص ٢١٣.
- ٨٥- حازم القرطاجني، منهج البلاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١ م)، ص ٣٨٨-٣٨٩.
- وقد أورد بدر الدين الزركشي رأي حازم المذكور، انظر البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٥٩-٦٠.
- ٨٦- يحيى بن حمزة العلوي، كتاب الطراز، ج ٣، ص ١٩-٢٠.
- ٨٧- يحيى بن حمزة العلوي، كتاب الطراز، ج ٣، ص ٢٠-٢١.
- ٨٨- عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٩٠.
- ٨٩- عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٨٧.
- ٩٠- عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٨٧-٢٨٨.
- ٩١- الزركشي، البرهان، ج ١، ص ٥٣-٦١.
- ٩٢- ابن الأثير، المثل السائر، ج ١، ص ٢١١.
- ٩٣- انظر ما كتبه شوقي ضيف في ذلك، البلاغة تطور وتاريخ، ط ٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥ م، ص ١٠٩.

- ٩٤ - انظر القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ٢٠ جزءاً، تحقيق جماعة، وإشراف الدكتور طه حسين (القاهرة، ١٩٦١ / ١٣٨٠)، ج ١٦، ص ٣٢١.
- ٩٥ - القاضي عبد الجبار، المغني، ج ١٦، ص ٢١٦؛ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق السيد محمد رشيد رضا (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م)، ص ٣٢، ٢٩٥ وما بعدها.
- ٩٦ - أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ٥٨.
- ٩٧ - أبو بكر الباقلاني، نفس الصفحة.
- ٩٨ - أبو بكر الباقلاني، ص ٥٨-٥٩.
- ٩٩ - انظر العلوي، كتاب الطراز، ج ٣، ص ٢٣-٣٢.
- ١٠٠ - زكي مبارك، الشر الفني في القرن الرابع، ج ٢، ص ٨١.
- ١٠١ - لمزيد من التفصيل حول ذلك انظر الدكتور أحمد الخوفي «مجمع القرآن فريد» مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة، ج ٢٨، (١٩٧١). ص ٩٥-٩٨ وج ٢٩، (١٩٧٢)، ص ٩١-٩٦.
- ١٠٢ - الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ٦٥.
- ١٠٣ - انظر الزركشي، البرهان، ج ١، ص ٦٢-٦٣؛ مخلوف، الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، ص ٢٣٤-٢٣٧.
- ١٠٤ - أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ٦١.
- ١٠٥ - سورة العاديات، الآيات ١-٥.
- ١٠٦ - سورة الضحى، الآيات ٩ و ١٠.
- ١٠٧ - الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ٩٥-٩٧.
- ١٠٨ - انظر أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية (بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م)، ج ٢، ص ١٣٤-١٤٠.
- ١٠٩ - أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ٥٧.
- ١١٠ - محمد أبو زهرة، «أبو بكر الباقلاني»، مجلة العربي، ع ٧٠، ربيع الثاني ١٣٨٤ هـ / سبتمبر (أيلول) ١٩٦٤ م، ص ٦٥.

مراجع البحث

- ١ - ابن الأثير، ضياء الدين (نصر الله بن محمد)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، د. ت.
- ٢ - ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة ١٩٧١ م.
- ٣ - أبو موسى محمد محمد، الإعجاز البلاغي: دراسة تحليلية لثراث أهل العلم، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م.
- ٤ - أنجيليكا، نويفرت، «طريقة الباقلاقي في إظهار إعجاز القرآن الكريم»، دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى إحسان عباس، ط ١ تحرير وداد القاضي، بيروت: الجامعة الأمريكية، ١٩٨١ م.
- ٥ - الباقلاقي، محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٤.
- ٦ - البغدادي، الخطيب، تاريخ بغداد، القاهرة، ١٣٤٩ هـ.
- ٧ - تاج، عبد الرحمن، «السجع وتناسب الفواصل وما يكون بين ذلك في القرآن»، مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة، ج ٣٦ (١٩٧٥).
- ٨ - التفتازاني، مسعود بن عمر، شروح التلخيص، القاهرة: بولاق، ١٣١٨ هـ.
- ٩ - الثعالبي، عبد الملك بن محمد (أبو منصور)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٧٧ هـ.
- ١٠ - الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٥ القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ١١ - جب، هاملتون، دراسات في الأدب العربي، دمشق: المركز العربي للكتاب، د. ت. ١٢ - الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

- ١٣ - الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- ١٤ - الحموي، ابن حجة نقي الدين علي، خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شعثو، بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٩٨٧ م.
- ١٥ - الحوفي أحمد، «سجع القرآن فريد» مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة، ج ٢٨ (١٩٧١ م) ج ٢٩، (١٩٧٢).
- ١٦ - الحوفي أحمد، «سجع أم فواصل؟»، مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة، ج ٢٧ (١٩٧١).
- ١٧ - الخفاجي، ابن سنان عبد الله بن محمد، سر الفصاحة، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٩ م.
- ١٨ - الرازي، الإمام فخر الدين، نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز، تحقيق د. بكري الشيخ أمين، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٥ م.
- ١٩ - الراغب الأصبهاني، حسين بن محمد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت: دار الحياة، د. ت.
- ٢٠ - الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، سلسلة ذخائر العرب رقم (١٦)، تحقيق محمد خلف الله أحمد و د. محمد زغلول سلام، ط ٤، القاهرة: دار المعارف ١٩٩١ م.
- ٢١ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٩٥٧.
- ٢٢ - الشكعة، مصطفى، بديع الزمان الهمذاني، رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، مع دراسة لحركة الأدب العربي في العراق العجمي وما وراء النهر، بيروت: عالم الكتب ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ٢٣ - الصفدي، الوافي بالوفيات، استانبول، ١٩٣١ م.
- ٢٤ - ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، ط ٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥ م.

- ٢٥ - ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط ٦، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١ م.
- ٢٦ - طه حسين، في الأدب الجاهلي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٢٧ م.
- ٢٧ - العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- ٢٨ - العسوي اليمني، يحيى بن حمزة بن علي، كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
- ٢٩ - الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ٥ أجزاء، القاهرة: الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ / ١٩٦٧.
- ٣٠ - الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٥.
- ٣١ - القاضسي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ٢٠ جزءاً، تحقيق جماعة، وإشراف الدكتور طه حسين، القاهرة، ١٩٦١ / ١٣٨٠.
- ٣٢ - القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١ م.
- ٣٣ - القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، ط ٦، شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٥ م / ١٤٠٥ هـ.
- ٣٤ - كرنكو، فريتس، «السجع»، دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية، بيروت: دار المعرفة، د. ت.
- ٣٥ - مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٣٤ م.
- ٣٦ - المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية: دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، ط ٤، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٠ م.
- ٣٧ - متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، ط ٤، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧.

٣٨ - مخلوف، عبد الرؤوف، الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٢ م.

٣٩ - المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة الإسلامية، د. ت.

٤٠ - مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية، بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

٤١ - المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٢، لندن: بريل، ١٩٠٦.

٤٢ - مؤنس، حسين، «أجيالنا الماضية أمام مشكلة أسماء الكتب»، العربي، ع ٧٠ / ربيع الثاني ١٣٨٤ هـ - سبتمبر ١٩٦٤ م، ص ٦٦ - ٧٣.

٤٣ - نصار، حسين، المعجم العربي نشأته وتطوره، ط ٢، القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٦٨ م.

٤٤ - ويليك، رينيه وأستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، ومراجعة د. حسام الخطيب ط ٢، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١ م.

٤٥ - ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأديباء القاهرة: طبعة مرجليوث ١٩٠٧ - ١٩٢٥.

مراجع أجنبية

- 46 - Von Grunebaum, Gustove E., A Tenth Century Document of Arabic Literary Theory and Criticism: The Section on poetry of al Baqillani's Ijaz al-Quran translation and on nation, (Chicago: The University Press 1950).
- 47 - Princeton Encyclopedia Of Poetry And Poetics Enlarged edition, Ed. Alex Preminger, (Princeton: University Press., 1974).